استخدام الاختبارات النفسية لانتقاء الموهوبين بالمرحلتين الإعدادية والثانوية
الواقع والطموحات
Using Psychological Tests In Selecting Gifted Preparatory and Secondary School Students- Reality and Ambitions

د.محمد غازي الدسوقي
المركز القومي للبحوث التربوية والتنمية– مصر
Dr. Mohamed Ghazy Al-dussoky- (NCERD. Egypt)

ملخص البحث:

تشير الأدبيات السيكولوجية للموهبة إلى أن الاختبارات النفسية تلعب دورًا مهمًا في الكشف عن المواهب – خاصة في مراحل التعليم المختلفة– لما تعكسه من تحديد لنوعية هذه المواهب ونقاط القوة وجوانب الضعف التي تتطلب التدخل المهني الهادف لتوجيه الموهبة نحو الإيجاب.

ويأتي هذا البحث مستهدفًا رصد واقع استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمدارس المصرية، وتعرف المعوقات التي تحول دون استخدامها في المدارس بشكل عام وفي الكشف عن الموهوبين بشكل خاص، ثم يختتم البحث بتقديم تصور لتفعيل استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الموهوبين.

وقد استخدم البحث استبيانًا معدًا لهذا الغرض طبق على عينة بلغت (90) مشاركًا من الأخصائيين النفسيين بمدارس المرحلتين الإعدادية والثانوية بمحافظات الدقهلية والقليوبية والمنيا، وانتهت النتائج إلى ندرة استخدام الاختبارات النفسية في الكشف عن الموهبة بالمدارس، وأوصى البحث بضرورة استخدام الاختبارات النفسية الكمبيوترية في عملية الانتقاء.

Psychological Literature in The Field of Giftedness Indicates That Psychological Tests can Play an Important role in Discovering Gifted Students in all Educational Stages, They can help in determining the Type of Giftedness, Strengths and the Weakness that require Professional Intervention aiming at Orientation Giftedness toward Positive.

This research seeks to investigate the status quo of the Using of Psychological Tests in Selecting Gifted Students in Egyptian schools and Defining the Obstacles that weaken their use in Schools in general and in selecting Gifted Students in particular. The research concludes with developing a vision for activating the use of Psychological Tests in Selecting Gifted Students.

The research makes use of a Questionnaire that was developed for this purpose. The Questionnaire was administered on (90) school psychologist in both Preparatory and Secondary Schools in the three Egyptian Governorates, Among the results of the research was that Psychological Tests are rarely used in selecting gifted school students. Therefore, the research recommends that it is necessary for using compute red Psychological Tests in selecting gifted school students.

- **مقدمة:**

الموهوبون هم الثروة الحقيقية لأي مجتمع من المجتمعات، ويُعول عليهم تقدمه ورقيه بين الأمم، ولهذا فالمجتمع يعمل جاهدًا من خلال استخدام أساليب مقننة في الكشف عنهم وإعطائهم الاهتمام والتشجيع بما يسمح لهم بالانطلاق في آفاق الاختراع والتقدم، فهم السبيل الوحيد لمسايرة التطورات العلمية والتكنولوجية.

ولم يكن لعلم النفس بد من مواكبة هذه التطورات، فتبني تلك الأطروحات الحديثة في تناول السلوك البشري وقياس مجالاته المتنوعة والكشف عن الشخص الموهوب بين الأقران، وحاول التصدي لدراسة تلك الظواهر باستخدام أدوات قياس مستحدثة كالاختبارات النفسية غير اللفظية والاختبارات الكمبيوترية(المُعدة للتعامل معها باستخدام الكمبيوتر)، وأجهزة المسح الذري والتصوير المقطعي والمغناطيسي لنشاط المخ والخلايا العصبية، بالإضافة إلى الاختبارات المتعلقة بقياس القدرات الابتكارية والاستعدادات العقلية.

ولقد كان للتطور العلمي في منتصف الثمانينات من القرن العشرين دوره الواضح في دراسة وظائف المخ البشري، حيث توافرت للعلماء أداتان جديدتان لاكتشاف وظائف الدماغ هما: التصوير المقطعي Positron-emission Tomography والتصوير بالرنين المغناطيسيFunctional magnetic resonance imaging ، وقد مكنت كل منهما العلماء من ملاحظة كيفية عمل الدماغ ووصف طبيعة العمليات الدماغية بطريقة لا تتدخل في عمل المخ(جيمس تريفل 2006: 92). كما كان للهندسة الوراثية ومشروع الجينوم البشري دور رائد في تدعيم فكرة الأثر الوراثي على السلوك البشري المعقد، وتحديد الصفات الذهنية والسيكولوجية والأخلاقية، وتحسين الخصائص الوراثية في ميادين متعددة كالذكاء والموهبة والطباع المزاجية التي تزكي الشعور بالآخرين والسلوك الاجتماعي(دانييل كيفلس وليروي هود 1997: 312)، حتى أن بحوث العلماء عن القشرة الدماغية ودراسات علم النفس العصبي والخلايا العصبية والعمليات العقلية العليا التي يقوم بها المخ أشارت إلى أنه يعمل كمجموعة مترابطة وبوظائف ذهنية متباينة وشديدة التموضع(جيمس تريفل 2006: 111).

وبتطور تلك النظرة للمخ ووظائفه؛ بات ملحًا أن تتجه بحوث ودراسات علماء النفس للرصد الفعلي لمظاهر السلوك البشري الموهوب واستخدام تقنيات القياس الحديثة في إعداد وتصميم الاختبارات الخاصة بتشخيص الموهبة وقياس العمليات العقلية المرتبطة بها.

- **مشكلة البحث:**

الاهتمام بالموهوبين ورعايتهم بات ضرورة ملحة في الآونة الأخيرة باعتباره أحد محكات الحكم على جودة المؤسسات التعليمية وتأهلها للاعتماد. ففي ولاية فرجينيا بالولايات المتحدة –على سبيل المثال– حددت الحكومة الفيدرالية مجموعة من معايير الجودة للمدارس الحكومية بالولاية؛ من بين هذه المعايير أن تتضمن رؤية ورسالة المدرسة وضع محكات للكشف المبكر عن الطلاب الموهوبين، وتقديم برامج مساعدة للمعلمين والأخصائيين النفسيين والمرشدين التربويين تمكنهم من الكشف عن الموهبة ومقابلة الاحتياجات النفسية والتربوية للطلاب الموهوبين(The Virginia Plan for The Gifted 1997: 3)، ووضعت الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد في مصر ضمن معايير الحكم على صلاحية المدارس والمؤسسات التعليمية للاعتماد أن تتضمن برامجها خدمات وأنشطة للطلاب الموهوبين ليس في الجانب الأكاديمي فقط، وإنما في شتى ميادين الموهبة(دليل الاعتماد 2008: 61).

ويلعب الأخصائيون النفسيون بالمدارس دورًا حيويًا في الكشف عن الطلاب الموهوبين وانتقائهم؛ لما يمتلكونه من معارف ومهارات عملية وخبرات تربوية وأدوات واختبارات تمكنهم من أداء مهام الدور المنوط بهم.

وتعتبر الاختبارات السيكولوجية أحد الأدوات التي يستعين بها الأخصائي النفسي في أدائه لمهام الخدمة النفسية المدرسية، كما تعد من أكثر أدوات القياس استخدامًا في علم النفس لما تتمتع به من مصداقية في نتائجها وموضوعية درجاتها.

ومع تنامي الاعتماد على الاختبارات في تقويم وتصنيف وانتقاء الأفراد بمعظم مؤسسات وقطاعات الصناعة والتجارة وإدارة الأعمال والمستشفيات ومراكز الإرشاد والمؤسسات التربوية، وفي مجالات متنوعة في المشروعات البحثية(Friedenberg, L., 1995: 4)، صارت تلك الاختبارات جزءًا مهمًا ومتزايدًا في عملية اكتشاف ورعاية الموهوبين ومعرفة الخصائص الشخصية والقدرات المميزة لهؤلاء الأفراد بما يمكن المؤسسات من انتقاء أفضل العناصر لمباشرة مهامها الموكلة إليهم.

ولم يكن الاهتمام بالكشف عن الموهوبين وانتقائهم ورعايتهم في المدارس بمنأىً عن استخدام تلك الاختبارات؛ ففي بعض الولايات الأمريكية سعت الحكومات الفيدرالية إلى استخدام اختبارات معيارية للكشف عن الطلاب الموهوبين والتعرف عليهم، وذلك لتقدير العديد من القدرات العقلية والاستعدادات والقدرات الدراسية المرتبطة بالتحصيل الأكاديمي متضمنة: مهارات التفكير المجرد والمهارات الأكاديمية والقدرات الفنية والتفكير الإبداعي والمعرفة المكتسبة العامة والقدرة العقلية العامة والقيادة والدافعية والاستدلال اللفظي وغير اللفظي وقدرات حل المشكلات (The ERIC Clearinghouse 2008: 1).

وفي المجتمعات العربية؛ نجد أن بعض الحكومات قد تبنت فكرة الاهتمام باكتشاف ورعاية الموهوبين، ففي مصر– والتي تعتبر من أوائل الدول العربية التي أولت الطلاب المتفوقين والموهوبين رعاية خاصة– أُنشئت فصول للمتفوقين ملحقة بالمدارس العادية عام1955 مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين ، وكان التحصيل الدراسي هو المحك الأساسي في اختيارهم، حيث يشترط حصول الطالب على مجموع 95 % لكي

يلتحق بهذه الفصول، وبعد ذلك تم إنشاء أول مدرسة متخصصة للموهوبين عام 1960 بالقاهرة، وكان أحد محكات القبول بهذه المدرسة هو اجتياز الطالب لاختبارات في القدرات العقلية والقدرة على التفكير الابتكاري، بالإضافة لإنشاء بعض المدارس المتخصصة للمواهب الرياضية والباليه والموسيقى، وأنشأت المملكة العربية السعودية مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالتعاون مع وزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات، وقدمت هذه المدينة مشروعًا لانتقاء الموهوبين، وكان أحد أهدافه إعداد وتقنين اختبارات ومقاييس موضوعية للكشف عن الموهوبين في مراحل التعليم وتشجيعهم على الإبداع والنبوغ في جميع المجالات، وفي الكويت؛ استعان المشروع القومي لاكتشاف الموهوبين ببعض الاختبارات لقياس قدرات التلاميذ، مثل: اختبار القدرة العقلية العامة واختبار الذكاء غير اللغوي والتحصيل الأكاديمي، واختبار وكسلر لأطفال الكويت واختبار تورانس للتفكير الابتكاري اللفظي والأشكال، وبعض المقاييس الشخصية، أما في الأردن؛ فإن اختيار مدرسة اليوبيل للموهوبين يُبنى على محكات التحصيل الدراسي واختبار الاستعداد الأكاديمي وقائمة السمات السلوكية.

ويذخر التراث السيكولوجي بالعديد من الاختبارات الخاصة التي تقيس القدرات المعرفية ومقاييس تقويم الموهبة والمهارات الأساسية والخصائص السلوكية للطلاب المتفوقين وغيرها من أدوات قياس الموهبة مثل: بطارية كوفمان لتقييم الأطفال والمصفوفات المتتابعة لرافن، والاختبارات التي تقيس المواهب النوعية كالموهبة الموسيقية والموهبة الرياضية... إلخ.

وقد حاولت مدارس بعض الولايات الأمريكية تطوير بعض هذه الأدوات الخاصة بالمواهب والمهارات التربوية، في الوقت الذي لم تول فيه أهمية لاختبارات معامل الذكاء مثل: اختبارات وكسلر للأطفال ومقياس ستانفورد بينيه(The ERIC Clearinghouse 2008: 1).

ولهذا فإن كوفمان وآخرين Kaufman, et AL., 2000 يرون أن أحد الأسباب الرئيسية الكامنة وراء استاتيكية حركة القياس النفسي وعدم تطورها إلى الآن، هو استمرارية استخدام اختبارات الذكاء التي مزجت بين المنحى العملي والمنحى السيكومتري مثل: اختبار ستانفورد بينيه، واستخدام اختبارات الذكاء التي مزجت بين المنحى العيادي والمنحى الإنساني مثل: اختبار وكسلر- بلفيو في المدارس والمراكز العيادية. وعلى أية حال؛ فإن الطبيعة غير المتغيرة لاختبارات معامل الذكاء بدأت في الذوبان مع بداية الربع الأخير من القرن العشرين- أي بعد الفترة (1905- 1980)- لأنه كان يوجد خلالها بينيه ووكسلر ومن حولهم، وبعد هذه الفترة التي سيطر عليها هذا الفكر، جاءت سلسلة من الاختبارات التي تتضمن مهامًا جديدة. ولهذا لم يكن أمام الباحثين بُد من استخدام هذين الاختبارين خلال الثلاثة أرباع الأولى من القرن العشرين، أما الآن فلديهم خيارات عديدة عن ذي قبل، فهناك طيف واسع من الاختبارات ووسائل القياس الأخرى التي تتسم بسهولة التطبيق، بالإضافة إلى أنها تقيس عددًا قليلاً من المكونات والعوامل(Kaufman, et AL., 2000: 470).

وفي هذا السياق؛ تشير ريم 2003 إلى أن الأمر الذي يفرض نفسه يتمثل في أن يقوم الأخصائيون النفسيون في المدارس بتطبيق الاختبارات النفسية التي تعد ضرورة ليكون باستطاعتهم أن يحددوا ما إذا كان

التلميذ موهوبًا حقًا أم أنه مجرد تلميذ عادي، حيث يتم تحديد الأسلوب والطريقة المثلى التي تصلح للتعامل معه(سلفيا ريم 2003: 36)، أو المواد الدراسية والمنهج الدراسي الملائم، أو حتى المعلم المناسب.

ومع التقدم الذي شهدته حقبة الثمانينات في القرن الماضي من تقدم تكنولوجي ومعلوماتي، وتزايد استخدام الكمبيوتر في الاختبارات والمقاييس التربوية والنفسية، فقد غدا استخدام الاختبارات المُحوسبة(الكمبيوترية) ضرورة ملحة في هذه الآونة، حيث أشار ماير وجايجر Meier & Geiger 1986 إلى أن مهن الخدمات الإنسانية سوف تطور من وسائل القياس والتقدير، وأكد جرين Green 1988 على أن الكمبيوتر سوف يغير من طرق القياس والتقدير المستخدمة، وأنه سوف يغير من الاختبارات المقدمة، وقد تنبأ مادسن Madsen 1986 أنه سوف يزيد استخدام الاختبارات القائمة على الكمبيوتر، بينما تنبأ لأبعد من ذلك جونسون Johnson 1979 حين ذهب إلى أن القرن الحادي والعشرين سوف يشهد استخدامًا واسع النطاق للاختبارات النفسية الكمبيوترية(Maddux, & Johnson, 1998: 87) .

وحقيقة الأمر؛ فإن معظم الجهود المبذولة الخاصة باستخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الموهوبين ورعايتهم كانت في البداية لتحديد الحد الأدنى لقبول الطالب واعتباره موهوبًا، بيد أن الإشكالية الحقيقية التي تكمن هنا ليس فقط ندرة استخدام الاختبارات النفسية في الكشف عن الموهبة، لكن أيضًا عدم استمرارية الاستعانة بتلك الاختبارات والأدوات الأخرى أو تطويرها، أو حتى البحث عن اختبارات بديلة، أو اختبارات أكثر جدية ودقة في الكشف عن تقدم الموهبة أو نموها والمحافظة على المستوى الذي وصلت إليه، لضمان استمراريتها وتناميها.

ولهذا جاء البحث الحالي محاولاً تحليل الفقه السيكولوجي حول استخدام الاختبارات النفسية في اكتشاف الموهبة وتنميتها مدعمًا ذلك برصد لواقع استخدامها في الكشف عن الموهبة وتنميتها في المدارس المصرية، ثم يختتم بتقديم تصور لكيفية تفعيل استخدام تلك الاختبارات في هذا الصدد.

- **أسئلة البحث:**

- ما واقع استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمرحلتين الإعدادية والثانوية؟
- ما معوقات استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمرحلتين الإعدادية والثانوية؟
- ما التصور المقترح لتفعيل استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين واستمرارية الموهبة؟

- **أهمية البحث:**

تتحدد أهمية البحث فيما يلي:

- تشخيص الواقع الفعلي لاستخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمدرسة المصرية بما يُمكِّن القائمين على اكتشاف ورعاية الموهوبين من معرفة آليات التعامل مع الموهوبين في المدرسة، وبالتالي وضع استراتيجية لتطوير برامج وأساليب الاكتشاف لتحقيق الأهداف المنشودة.

- تقديم تصور علمي قائم على المنطلقات النظرية وآراء العاملين في ميدان الموهبة حول آليات تفعيل استخدام الاختبارات النفسية في الكشف عن الموهبة وتنميتها بين تلاميذ وطلاب المدارس، بما يسهم في تقديم معلومات وبيانات يمكن الاستعانة بها عند إعداد وتكوين الأخصائيين النفسيين بالمدارس.
- يمكن للباحثين في الموهبة الاستعانة بنتائج البحث في تطوير الأطر النظرية والبرامج التدريبية الخاصة بفنيات وأساليب اكتشاف ورعاية الموهوبين.

- **مصطلحات البحث:**

- **الاختبار النفسي:** يعرفه أبوحطب 1983 بأنه: "طريقة منظمة للمقارنة بين الأفراد أو داخل الفرد الواحد في السلوك أو في عينة منه في ضوء معيار أو مستوى أو محك" (في: فؤاد أبوحطب وأمال صادق 1991: 144).
- **الموهوبين:** "هم أولئك الأطفال أو المراهقين الذين يتم تحديدهم من قبل أشخاص مؤهلين مهنيًا على أنهم يتمتعون بقدرات بارزة تجعل بمقدورهم أن يحققوا مستوىً مرتفعًا من الأداء في أحد المجالات الآتية أو أكثرها: القدرة العقلية العامة، والاستعداد الأكاديمي، والتفكير الابتكاري أو الإبداعي، والقدرة الفنية، والقدرة على القيادة، والفنون الأدائية، والقدرة النفس حركية".

الاطار النظري للبحث :

تعود الجذور الأولى لاستخدام الاختبارات النفسية في قياس الموهبة بشكل علمي لأعمال فرانسيس جالتون Galton, F. في دراسته للعبقرية، حينما حاول أن يدعم ويطور من نظريته بابتكار واستحداث وتطويع اختبارات الوظيفة الحس حركية. كما تعود لدراسته للذكاء والموهبة؛ حين اعتبر أن الذكاء المرتفع له علاقة بالتحصيل الدراسي غير العادي والموهبة الأكاديمية(Callahan, 2000: 160).

وخلال القرن العشرين نمت حركة بناء وتطوير الاختبارات في الاستجابة للتصورات النظرية والمطالب والاحتياجات العملية، وفي الوقت الحالي تستخدم مئات الاختبارات التي تختلف فيما بينها في النوعية والهدف ودرجة الموضوعية والشمول والدقة العلمية، وصاحب هذه الطفرة في بناء الاختبارات واستخداماتها تطور في الأساليب الإحصائية البارامترية واللابارامترية المستخدمة في الحكم على نتائجها(محمد غازي 2008: 95).

وقد كان الجانب العقلي أكثر حظًا من جوانب النشاط الإنساني الأخرى في الاهتمام بدراسته وقياسه ليس فقط من قبل الباحثين؛ بل إن الفلاسفة قديمًا كان اهتمامهم منصبًا على العقل كمحرك أساسي للشخصية، فارتبطت أعمال سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم بالبحث عن المعرفة ونشاط العقل وتأثيره في سلوك الإنسان ومعتقداته، إلا أن الظهور الفعلي للاختبارات النفسية كان مع بدايات الحديث عن القدرات العقلية في أوائل

القرن العشرين، حيث أكثر اختبارات القدرات العقلية شهرة؛ وهو اختبار بينيه وسيمون في الذكاء عام 1904، والذي وجه اهتمام الباحثين لتلك القدرات وقياسها.

والاختبار Test هو أداة قياس موضوعية مقننة لعينة من سلوك الفرد أو ظاهرة من الظواهر، فحينما تتحول المهمة Task التي يستخدمها الباحث في الملاحظة العلمية إلى موقف على درجة عالية من التقنين فإننا نطلق عليها في هذه الحالة مصطلح اختبار. ويرى ننالليNunnally 1972 أن الاختبار ما هو إلا موقف مقنن يصف سلوك الفرد بدرجة(في: عزيز حنا وآخرون 1991: 103)، ولعل أشهر تعريفاته كانت لأنستازي حين عرفته بأنه "مقياس موضوعي مقنن لعينة من السلوك"، وتعريف كرونباك بأنه "طريقة منظمة للمقارنة بين سلوك شخصين أو أكثر"، واستخلص منهما أبوحطب 1983 التعريف التالي "الاختبار النفسي هو طريقة منظمة للمقارنة بين الأفراد أو داخل الفرد الواحد في السلوك أو في عينة منه في ضوء معيار أو مستوى أو محك" (فؤاد أبوحطب وأمال صادق 1991: 144).

ويهدف الاختبار إلى وصف السلوك كميًا أي تحديده ومقارنته بالغير إذا كان الميزان معياري المرجع أو مقارنته بميزان خارجي إذا كان الميزان محكي المرجع(عزيز حنا وآخرون 1991: 103). ويتميز باقتصاده للوقت والجهد والتكاليف عن غيره من وسائل جمع البيانات، كما أنه تندر فيه حالات تأثر تحليل بياناته وتفسير نتائجه بالعامل الذاتي للباحث، ومن هنا تأتي أهمية استخدام الاختبار في المجال النفسي والتربوي وانتقاء الموهوبين؛ لما يتسم به من الدقة والموضوعية وتبيان العلاقة بين المتغيرات.

- **استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الموهوبين.. الواقع العربي المعاش.**

المستقرئ لتاريخ الاختبارات النفسية وبدايات استخدامها في مطلع القرن الماضي، يمكنه استخلاص فكرة مؤكدة مفادها أن تلك الاختبارات استخدمت في الأصل للكشف عن المواهب والأفراد ذوي القدرات غير العادية، لكنها ارتبطت بتلك التي تقيس معامل الذكاء، لاسيما عندما قام لويس تيرمان .Terman, L 1916 بتقنين اختبار بينيه– سيمون للذكاء في الثقافة الأمريكية، وأسماه مقياس ستانفورد بينيه، والذي استخدمه تيرمان عام 1925 لانتقاء الأطفال الموهوبين الذين رشحهم معلموهم، وبلغ معامل ذكائهم 140 على هذا المقياس، وكان عددهم أكثر من 1500 طالب وطالبة من ذوي المواهب التالية: العقلية، والرياضية، والاجتماعية، والأخلاقية(Callahan, 2000: 160). ثم توالى ظهور العديد من التصورات النظرية للموهبة واختبارات قياس القدرات العقلية المرتبطة بها بعد هذا التاريخ، فكان اختبار وكسلر للذكاء، وبطارية القدرات العقلية لثرستون، ولوحة أشكال سيجان، والمصفوفة المتتابعة لرافن، واختبار الذكاء المصور لزكي صالح، واختبار رسم الرجل لجودانف، واختبار الذكاء الحسي لسبيرمان، فتلك الاختبارات وغيرها من اختبارات القدرات النوعية والذكاءات المتعددة التي أعدت على غرار نظريات الذكاء الأخرى تستخدم في قياس الموهبة. فحتى العقد الأخير من القرن العشرين؛ ظل التراث في هذا الميدان أكثر ثباتًا واستقرارًا فيما يتعلق بالارتباط والتداخل بين القدرة العامة –كما تقاس باختبارات الذكاء– وبين الموهبة على الأقل في البحث والممارسة والقياس، فقد فحص تانبوم Tannenbaum عام 1996 عدد 13 بحثًا من 22 دراسة إمبيريقية نشرت في المجلة الفصلية للطفل الموهوب

Gifted Child Quarterly خلال عامي 1991 و1992، وتبين له استخدام تلك البحوث لاختبارات الذكاء العام في قياس الموهبة(Callahan, 2000: 160) .

وهذا الاستخدام إنما نجم عن صعوبة الفصل بين مفهومي الذكاء والموهبة، ليس هذا فحسب؛ بل إن معظم النظريات المفسرة للموهبة هي في الأصل نظريات للذكاء، على سبيل المثال: نظرية الذكاء الثلاثي لستيرنبرج 1981، ونظرية الذكاءات المتعددة لجاردنر 1983، ونموذج WICS لستيرنبرج 2003، ...إلخ.

وحسبنا في هذا المقام أن نشير إلى أن مفاهيم الموهبة المتاحة حاليًا والمفاهيم الأخرى ذات الصلة قامت على محك درجة توافر القدرة العقلية في بنية المفهوم، ونفس الحال؛ اعتمد مفهوم الذكاء في صياغته بشكل كبير على بعض البناءات المعرفية الأخرى كالابتكار، كما أن المكونات المعرفية للأداء (متضمنة كلا المفهومين: الموهبة(الابتكار) والذكاء) ترتبط وتتداخل مع بعض العوامل غير العقلية مثل: الشخصية والخصائص الوجدانية(Callahan, 2000: 161). بيد أنه مع نهاية القرن العشرين كان هناك اتفاق قليل بين الدارسين في الميدان السيكولوجي والميدان التربوي حول بعض البناءات Structures مثل الذكاء، الإبداع، مستويات القدرة، والموهبة والنبوغ والتفوق، كما وجد أيضاً اتفاق محدود بينهم حول علاقة هذه البناءات ودورها في نمو الموهبة، وعلى سبيل المثال؛ فقد أثير هذا الجدل حديثاً حول لب هذه البناءات في بحث جانيه Gagne's عام 1999 المتعلق بتصوره حول القدرات، والموهبة، والنبوغ، حيث ميز بين القدرات الطبيعية(الموهبة) Giftedness، والقدرات التي تحتاج بطريقة منظمة للتنمية من خلال برامج معدة للتعلم والتنمية والممارسة(الموهبة) Talents، وقد جمع هذا البحث الاهتمامات المنظمة حول تصورات القدرة الإنسانية التي تتكون من الذكاء العام، ومهارات القدرات الخاصة، ثم إعادة التأكيد على التمييز بين الموهبة بصفة عامة وبين النبوغ بصفة خاصة داخل ميدان القدرات(Moon & Rosselli 2000: 500).

وقد ارتبطت دراسة الموهبة بالذكاء والتفكير الابتكاري والتحصيل الدراسي المرتفع، والتميز بموهبة معينة في أحد أوجه النشاط الذي يقدره المجتمع(فؤاد أبوحطب 1996: 613)، ولهذا فقد اعتمد الباحثون في قياس الموهبة بشكل عام على اختبارات الذكاء التقليدية المتاحة في التراث السيكولوجي، وأشار كالاهان Callahan 2000 إلى أن استخدام اختبارات الذكاء قد ارتبط بالموهبة الأكاديمية والتحصيل المدرسي أو قياس القدرة العقلية العامة(Callahan, 2000: 161). واعتبر تيرمان الطفل الذي يبلغ معامل ذكائه 140 درجة أو أكثر في الأداء على اختبار ستانفورد بينيه موهوباً أو عبقرياً، في الوقت الذي اعتبرت فيه كوكس Cox أن محك معامل الذكاء غير دقيق في التنبؤ باستمرار موهبة الطفل في مرحلة المراهقة(Simonton,2000: 112)، وكان لهذا الاعتماد على أحد هذه المحكات السابقة في تحديد الموهبة ما ساهم في عدم تحديد الموهوب بدقة، فأشار أبوحطب إلى أن ذلك كان من شأنه إدخال بعض الأفراد في فئة الموهوبين بينما هم ليسوا كذلك، وأخرج من الفئة آخرين موهوبين بالفعل(فؤاد أبوحطب 1996: 613).

ويعكس الواقع الحالي في العالم العربي مدى استخدام الاختبارات النفسية في اكتشاف ورعاية الموهوبين، **ففي الأردن**؛ نجد أن مدرسة اليوبيل للموهوبين والمتفوقين تختار طلابها بناءً على محكات التحصيل

الدراسي واختبار الاستعداد الأكاديمي وقائمة السمات السلوكية، وهذه المحكات تعكس الاهتمام بالموهبة الأكاديمية(عبد المطلب القريطي 2005: 29)، **وفي المملكة العربية السعودية؛** تبنت مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بالتعاون مع وزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات مشروعًا للكشف عن الموهوبين، وكان ضمن أهداف المشروع إعداد وتقنين اختبارات ومقاييس موضوعية للكشف عن الموهوبين في مراحل التعليم وتشجيعهم على الإبداع والنبوغ في جميع المجالات. وأحد الجهود التي تقوم بها تلك المؤسسة هو اكتشاف وانتقاء الموهوبين من الذكور والإناث، ومن المهام الموكلة إليها تطوير اختبارات مقننة للذكاء والموهبة تتواءم مع النسق العلمي ومع حاجات وثقافة المجتمع السعودي(عبد الله الجغيمان 2005: 133)، وبدأ المشروع في مرحلته الأولى بإعداد وتقنين مجموعة من الاختبارات للكشف عن الطلاب الموهوبين، من هذه الاختبارات: اختبار وكسلر لذكاء الأطفال المعدل، وبطارية مقاييس وطنية، وبعض مقاييس الشخصية، واختبار القدرات العقلية، واختبار تورانس للتفكير الابتكاري، وتم استخدام هذه الاختبارات في الكشف عن الطلاب الموهوبين والذين تم انتقاؤهم من بين الطلاب الحاصلين على 90 % فأكثر في امتحان نهاية العام. **أما الكويت؛** فقد تبنت مشروعًا قوميًا لاكتشاف الموهوبين من بين تلاميذ المدارس الابتدائية، واستعان المشروع ببعض الاختبارات لقياس قدرات التلاميذ، فتم تطبيق اختبار القدرة العقلية العامة واختبار الذكاء غير اللغوي على التلاميذ مع نتيجة التحصيل الأكاديمي باعتبارهما محكين للموهبة، وتم الاستعانة باختبار وكسلر لأطفال الكويت واختبار تورانس للتفكير الابتكاري اللفظي والأشكال، كما جرى تطبيق مجموعة من المقاييس لجمع معلومات عن هؤلاء التلاميذ من الوالدين والمدرسين والأقران وعن سمات تفوقهم غير العقلية وعن عاداتهم السلوكية وظروفهم الأسرية والثقافية، ومن أهم المقاييس المستخدمة: مقياس مفهوم الذات الأكاديمي، واستبيان الدافعية للإنجاز، ومقياس العلاقات الاجتماعية بالأقران، ومقياس تقدير المدرسين للخصائص السلوكية للموهوبين، واستبانة تحديد الموهوبين لذكائهم ومواهبهم وميولهم في أنشطة أوقات الفراغ وإنجازاتهم في الأنشطة المدرسية، واستبانة الظروف الاجتماعية(عادل الأشول 2005: 158).

وفي مصر؛ نجد أنه منذ إنشاء فصول للمتفوقين ملحقة بالمدارس العادية عام 1955، فإن اختبارات التحصيل الدراسي هي المحك الأساسي في اختيارهم، ثم يعقد لهم اختبار في القدرات العقلية والقدرة على التفكير الابتكاري من خلال امتحان عام مركزي، ويعتبر هذا الاختبار امتحانًا لقبول الطلاب الحاصلين على أعلى نسبة لمجموع درجات هذا الامتحان وامتحان إتمام الدراسة بمرحلة التعليم الأساسي(يسرية محمود 1996: 65)، وتعد هذه الاختبارات إحدى محكات القبول بمدرسة الموهوبين بالقاهرة(عادل الأشول 2005: 161)، وقد دعم هذا التوجه صدور القرار الوزاري رقم 413 لسنة 1996 والذي يقضي بإلزام الطلاب المتقدمين للالتحاق بمدرسة المتفوقين أو الفصول الملحقة بالمدارس العادية باجتياز الاختبارين السابقين(عبد المطلب القريطي 2005: 29). ولم يقتصر الأمر في استخدام الاختبارات النفسية على الموهوبين أكاديميًا، بل تم استخدامها أيضًا في انتقاء الطالبات المتقدمات لمدرسة الباليه ومدرسة الموسيقى(معهد الكونسرفتوار)، حيث يتم انتقاء الطلاب لهذه المدارس بعد اجتيازهم لاختبارات الكشف الطبي والاختبارات الشخصية والفنية التي تعقدها لجان متخصصة بالمدرستين، أما المدارس الرياضية فإنها تطبق عدة اختبارات نفسية وطبية ومهارية وبدنية على

الطلاب المتقدمين للالتحاق بها، وأهم هذه الاختبارات: اختبار قياس زمن رد الفعل واختبار زمن التوقع، واختبارات المرونة، واختبار كشف الانحرافات القوامية، واختبار المرونة، والقياسات المورفولوجية والفسيولوجية(يسرية محمود 1996: 90).

- **إشكاليات استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الموهوبين بالمدارس العربية...**

كان للاهتمام بالجانب العقلي في الشخصية الدور البارز والداعم في تحويل وجهة قياس الموهبة نحو القدرة العامة والموهبة الأكاديمية دون الاهتمام بمجالات الموهبة الأخرى، وشاهدنا في ذلك؛ ما لاقاه اختبار ستانفورد بينيه للذكاء، واختبار وكسلر للذكاء – وما أُعد على غرارهما من اختبارات أخرى– من شهرة واسعة الاستخدام في قياس الموهبة ليست فقط في المجتمعات التي نشأت وفق ثقافتها، بل في معظم المجتمعات حتى المغايرة للثقافة التي أعدت فيها تلك الاختبارات. وهناك عدة اعتبارات تجعل تلك الاختبارات لا تصلح بمفردها كوسيلة لانتقاء الطلاب الموهوبين، من بينها:

- أن اختبارات الذكاء لا تزودنا بمعلومات وافية، ولا تعطينا صورة شاملة متكاملة عن سلوك وقدرات الطالب، ذلك أن الدرجة التي يحصل عليها في اختبار الذكاء لا تعبر إلا عن مظهر واحد من مظاهر الموهبة، وتغفل ما عداه من قدرات ومظاهر أخرى قد تكون ابتكارية، أو فنية، أو اجتماعية، فعلى سبيل المثال: يذكر تورانس أن تعريف الموهبة في ضوء معامل الذكاء فقط يفقدنا حوالي 70 % ممن يتميزون باستعدادات عالية من حيث القدرة على التفكير الابتكاري.
- أن هناك الكثير من الجدل حول مقاييس واختبارات الذكاء، ومدى دقتها وثباتها ودلالة درجاتها في الكشف عن الذكاء المرتفع، فيشير القريطي 2005 إلى أن مستخدمي مقاييس الذكاء يعتمدون على درجاتها دون مراعاة تباين المستويات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للطلاب والتي تؤثر في أدائهم على هذه الاختبارات(عبد المطلب القريطي 2005: 169)، ولهذا فإن هناك بعض الاختبارات المتحيزة ثقافيًا، تصلح لفئة معينة دون غيرها.
- أن معظم اختبارات الذكاء لا تتضمن بين محتواها بعض الخصائص النفسية والسمات الشخصية التي تسهم بدرجة كبيرة في الأداء غير العادي للموهوبين في جوانب الموهبة كالمثابرة ومستوى الطموح والمبادأة.

ولهذا ظهرت إشكاليات عديدة صاحبت استخدام اختبارات الذكاء عند انتقاء الطلاب الموهوبين وقياس مواهبهم، تلك الإشكاليات يمكن تصنيف بعضها بأنها السبب الرئيسي وراء استخدام تلك الاختبارات وفق هذا المنحى، بيد أن هناك إشكاليات أخرى يمكن القول بأنها نتاج لهذا الاستخدام.

ولعل أولى الإشكاليات التي تعتبر من الأسباب الرئيسية التي أثرت في توجه الاختبارات للاستخدام في قياس الموهبة وفق هذا المنحى في المدارس العربية هي في الأساس تعود لمفهوم الموهبة ذاته، حيث بدا متداخلاً مع مفهوم الذكاء والقدرة العقلية العامة –على الأقل– خلال النصف الأول من القرن العشرين، حين

كانت اختبارات الذكاء هي الأكثر شهرة واتساعًا في الاستخدام بمعظم ميادين الحياة، لاسيما الميادين العسكرية والتربوية والصناعية والعلاجية، ولهذا فقد استخدمت اختبارات الذكاء في قياس الموهبة.

وتتمحور ثاني هذه الإشكاليات في كون معظم الاختبارات المستخدمة للكشف عن الموهبة أو انتقاء الطلاب الموهوبين هي في واقع الأمر اختبارات مغايرة للثقافة العربية، فقد عُني الرعيل الأول من رواد علم النفس العربي– الذين استكملوا دراساتهم العليا في دول الغرب في الثلاثينات والأربعينات من القرن العشرين– بالمعارف المتقدمة في مجالات علم النفس التربوي، وحاولوا جاهدين جلب كل ما وقع في أيديهم من الغالي والنفيس في العلوم النفسية واختباراتها من أجل إنعاش المكتبة العربية، لكنهم كما يقول كمال نجيب 1986 "لم يفطن هؤلاء المبعوثون إلى الارتباط الوثيق بين النظرية التربوية والبحث العلمي من ناحية، وبين ثقافة المجتمع وظروفه الاقتصادية والاجتماعية من ناحية أخرى، ولم يدر بخلدهم اغتراب المشكلات البحثية الغربية عن الواقع العربي، ولذا فقد راحوا يشتقون مشكلاتهم البحثية من النظرية التربوية الغربية ويستخدمون نفس المناهج والأدوات السائدة في الغرب، وقد جاءت غالبية البحوث أجزاءً من نسيج العلم السيكولوجي الغربي"(في: عزيز حنا وآخرون 1991: 425). ولهذا فإن أغلب أدوات القياس والاختبارات الخاصة باكتشاف ورعاية الموهوبين التي تحتويها المكتبة العربية هي في واقع الأمر غربية المنشأ محلية التطبيق، ولذلك شكك البعض في نتائجها بسبب التباين الثقافي والهوة المعرفية بين مجتمع صناعة الاختبارات ومجتمع التطبيق الميداني بالرغم من الجهود المحمودة التي قدمها هؤلاء الباحثون من أجل تعريب محتوى تلك الاختبارات وتوفيقها بما يتفق والثقافة العربية(محمد غازي 2008: 100– 101).

وتتعلق الإشكالية الثالثة باقتصار المقاييس والاختبارات المتاحة على أنماط معينة من الموهبة دون تناول الأنماط الأخرى، فعلى سبيل المثال؛ تزخر المكتبة العربية بالاختبارات التي تقيس الموهبة المرتبطة بالقدرة العقلية العامة والموهبة الأكاديمية، وبعض الاختبارات التي تقيس الموهبة الأدائية كالرياضية والموسيقية، بالإضافة لاختبارات تورانس وجيلفورد التقليدية لقياس التفكير الابتكاري، بينما تفتقر هذه المكتبة لاختبارات تقيس المواهب النوعية الأخرى، كالموهبة القيادية والمواهب الأدائية والفنية، ..إلخ، وقد ظهرت حديثًا بعض الاختبارات التي يعتقد البعض أنها تقيس مثل هذه المواهب، خاصة تلك التي أُعدت في ضوء نظرية الذكاءات المتعددة لجاردنر، لكنه في واقع الأمر؛ فإن مثل هذه الاختبارات هي من نوع أساليب التفضيل وتقيس الاتجاهات أو ميول الأفراد نحو نمط معين من أنماط الذكاء، ومعظم تلك الأدوات من نوع اختبارات الورقة والقلم، فكيف لها أن تقيس قدرات أو أداءات؟.

أما رابع هذه الإشكاليات فترتبط بالقائمين على اكتشاف ورعاية الموهوبين في الوطن العربي أنفسهم، حيث يفضل معظمهم الاستعانة بالاختبارات الكلاسيكية المتوفرة بالمكتبات العربية والتقليدية ذات الصيت الواسع بين المشتغلين بالقياس السيكومتري والإديومتري، مثل: اختبار ستانفورد بينيه، واختبار وكسلر واختبار الذكاء المصور، واختبار تورانس للتفكير الابتكاري، .. إلخ، وتلك النظرة يؤكدها فرانكل ووالن Fraenkel, & Wallen, 2003 حين أشارا إلى أن بناء أو تطوير الاختبار بواسطة الباحث يقابله العديد من المشكلات؛ منها: أنه ليس

من السهل إعداده، وأن عملية إعداد مقياس أو اختبار جيد عادة ما تكون غير اقتصادية، ولهذا يقترحان أنه من المفضل انتقاء أو اختيار أداة مطورة جاهزة تكون مناسبة لموضوع البحث والمفحوصين، ومبررهما في ذلك أن معظم الأدوات عادة ما يتم تطويرها بواسطة خبراء القياس النفسي الذين يمتلكون المهارات البحثية الضرورية، وأن اختيار الأداة التي تكون صالحة للتطبيق سوف تأخذ جهدًا ووقتًا أقل مما لو تم إعداد أداة جديدة لقياس نفس الشيء(Fraenkel, & Wallen, 2003: 120). والباحث هنا يتبنى هذا التوجه، وهو تطوير الاختبارات الموجودة بما يتفق مع المتغيرات العصرية، لكن الإشكالية المطروحة في هذا السياق هي محتوى تلك الاختبارات التي لا تواكب التطورات المعلوماتية في المعرفة البشرية، فما يصلح للماضي قد لا يناسب التقدم التكنولوجي والمعرفي في الوقت الراهن، على سبيل المثال؛ يشير فلاين Flynn 1998 إلى أن معدل الذكاء يزيد بمعدل 9 نقاط كل جيل(ثلاثين عامًا)، فما بالنا باختبارات الذكاء الموجودة والتي أُعدت في بدايات القرن العشرين، أو تلك التي أُعدت إبان الحرب العالمية الثانية!.

وتكمن الإشكالية الخامسة المتعلقة باستخدام الاختبارات النفسية في اكتشاف الموهبة ورعايتها في كون القائمين على تطبيقها في المدارس غير مُعدين الإعداد الكافي للتعامل مع تلك الاختبارات واستخداماتها، ولهذا يعزف معظمهم عن استخدامها خشية الوقوع في حرج من تطبيقها وعدم المقدرة على التعامل معها أو استخدامها فيما وضعت من أجله، وربما عدم الاستفادة من نتائجها أو صعوبة تفسيرها.

أما الإشكالية السادسة فيمكن عزوها للموهوبين أنفسهم وعدم رغبتهم في الخضوع للاختبارات، أو حتى السعي للكشف عن مواهبهم خجلاً من زملائهم أو أسرهم، خاصة إذا كانت تلك الموهبة لا تلقى استحسانًا مجتمعيًا كإلقاء الشعر أو كتابة القصة للذكور مثلاً..إلخ، حيث يُنظر لمن يقع تحت الاختبار النفسي بأنه مريض نفسيًا، أو أنه شخص غير عادي، وهذا يمكن رده لغياب الثقافة الاختبارية أو الوعي بثقافة الاختبارات واستخداماتها وفوائدها، وتلك ثقافة مجتمعية غائبة في البلدان العربية.

وتتعلق الإشكالية السابعة بالانتشار الواسع في استخدام الاختبارات النفسية والذي جعلها غاية وليست وسيلة، حتى صار البعض يعرف الذكاء بأنه ما تقيسه اختبارات الذكاء، كما أدى شيوع استخدام الاختبارات إلى إساءة الناس فهمها، فصارت مجالا للتسلية في الصحف، مثل اعرف شخصيتك من خلال عدد من الأسئلة يضعها الكاتب، أو كيف تكون مؤثرًا في الآخرين، أو كيف تكتشف طفلك الذكي..إلخ.

بيد أن الإشكالية الثامنة والتي ترتبط بهذا السياق؛ تلك الخاصة بعدم تتبع نمو الموهبة وتطورها بعد مرحلة الاكتشاف، فأغلب الاختبارات يتم استخدامها في مرحلة الاكتشاف، أما مرحلة ما بعد الاكتشاف وتقديم البرامج التنموية والتعليمية الخاصة بالموهبة فلا يقاس العائد منها، واستخدام الاختبارات من شأنه في هذه المرحلة رصد وتقييم الوضع الحالي للموهبة، وعلى غرار نتائجها يتم تعديل البرامج التنموية المقدمة، أو استحداث وتقديم برامج أخرى أكثر تطورًا وملاءمة لواقع الموهبة الحالي.

وتعتبر تلك الإشكاليات من أهم الأسباب التي حالت دون تقدم استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين ومتابعة تطور الموهبة خلال المراحل التعليمية التالية.

- **الدراسات ذات الصلة:**

بالرغم من أن الموهبة والموهوبين قد حظيت باهتمام العديد من الباحثين في علم النفس وعلوم التربية والعلوم الإنسانية الأخرى، إلا أن الواقع الإمبريقي للدراسات التي أجريت حول استخدام الاختبارات النفسية في الكشف عن الموهبة وانتقاء الموهوبين في هذا السياق كان قليلاً مقارنة بواقع الدراسات والبحوث التي أُجريت حول آليات وأساليب اكتشاف الموهوبين وطرق واستراتيجيات رعايتهم وخصائصهم الشخصية والنمائية والصعوبات التي تعترض مواهبهم.

وفيما يلي عرض لبعض الدراسات ذات الصلة:

- دراسة إليزابيث جتمان وجون كوستر Gittman, E.& Koster, J. 1999:

هدفت الدراسة إلى تحليل وتعرف العلاقة بين قدرات ودرجات الطلاب المرشحين لبرامج الموهبة من قبل المدرسين، وقد رشح المعلمون 162 طالبًا وطالبة بالصفوف الثالث والرابع والخامس في العام الدراسي 1999/89، اجتاز بنجاح منهم 100 لاختبار القدرات ضمن متطلبات الترشيح، بينما لم يجتاز الطلاب الباقين هذا الاختبار، وأجرى الباحثان بعض التحليلات الإحصائية والمقارنات لبيانات العينة، وقد أشارت النتائج لعدم وجود فروق دالة في درجات التحصيل بين المجموعتين، بالإضافة لعدم وجود فروق دالة بين الدرجات المقدرة على اختبار القدرات والدرجات المقدرة على المقاييس المعيارية المرتبطة بالتحصيل وتقديرات المعلمين، ولهذا أوصت الدراسة بضرورة تعديل ومراجعة المقاييس المعيارية ومقياس تقديرات المعلمين.

- دراسة مكتب التربية بأوهايو Ohio Department of Education office 2000:

هدفت الدراسة لرصد وسائل القياس والتقدير التي يتم من خلالها التعرف على الأطفال الموهوبين، وسعت الدراسة لتطوير الاختبارات التي يتم من خلالها انتقاء الموهوبين واكتشافهم، وهذه الاختبارات هي: اختبار القدرة العقلية العامة، ويقيس هذا الاختبار الذكاء، واختبار القدرة الأكاديمية الخاصة، ويقيس التحصيل الأكاديمي للطلاب الموهوبين في الرياضيات والعلوم والدراسات الاجتماعية واللغات، واختبار قدرات التفكير الابتكاري، واختبار قدرات الفنون البصرية والأدائية، وقد توصلت الدراسة لضرورة تطوير تلك الاختبارات وذلك لمواجهة التغيرات التكنولوجية والمعرفية في ضوء مجموعة من المعايير التي وضعتها الجمعية الأمريكية لعلم النفس.

- دراسة سحر مبروك 2003:

هدفت الدراسة للتعرف على المهارات المهنية التي يمارسها الأخصائيون الاجتماعيون في اكتشاف ورعاية الموهوبين، والصعوبات التي تواجههم في التعامل مع الموهوبين، وذلك بتطبيق استمارة استبيان على عينة قوامها (90) أخصائيًا وأخصائية بمدارس محافظة القليوبية خلال العام الدراسي 2003/2002، وكشفت النتائج عن وجود تدني لتطبيق الاختبارات والمقاييس النفسية التي تتعلق بانتقاء الموهوبين واكتشافهم.

- دراسة محمود مسيل 2004:

هدفت الدراسة إلى تقديم تصور مقترح لرعاية الطلاب الموهوبين والمتفوقين في مصر في ضوء خبرة الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك من خلال رصد وتحليل نتائج البحوث والدراسات المرتبطة بالموهبة التي أجريت في مصر للتعرف على طرق الاكتشاف والرعاية وكيفية الاستفادة من التجربة الأمريكية في تطوير وسائل الكشف عن الموهوبين ورعايتهم، وتوصلت الدراسة إلى أن تجربة مصر في اكتشاف ورعاية الموهوبين تعاني الكثير من السلبيات التي ترتبط بعدم وجود وسائل موضوعية محددة للكشف عن الموهوبين، بالإضافة إلى أن المقاييس والاختبارات المتاحة تنقصها الدقة في اختيار الطالب الموهوب.

- دراسة ناهد حلمي 2005:

هدفت الدراسة إلى تحديد معالم دور المعلم في اكتشاف المواهب لدى طلابه ورعايتها وتنميتها، وذلك من خلال التعرف على مبررات إعداد المعلم للكشف عن المواهب، والعوامل والمعوقات التي تحول دون قيامه بعمليات اكتشاف وانتقاء المواهب، حيث أشارت الدراسة إلى أن أحد هذه المعوقات يتحدد في قصور المقاييس والاختبارات العقلية والتحصيلية المستخدمة في الكشف عن المواهب.

المستقرئ للنتائج التي توصلت إليها الدراسات السابقة يتضح له وجود مجموعة من الإشكاليات والمعوقات التي تتعلق بصعوبة استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين، وذلك بسبب عدم وجود اختبارات موضوعية يمكن أن يعول عليها عملية الانتقاء، فأوصت دراسة جتمان وكوستر –على سبيل المثال– بضرورة إعادة النظر في الاختبارات المستخدمة، بالإضافة إلى أنه لا يتوافر غالبيتها في المدارس، وأن الاختبارات المتوفرة لا تغطي شتى مجالات الموهبة، ولهذا جاءت الدعوة لضرورة إعداد اختبارات ومقاييس تتفق والرؤى النظرية والتصورات الحديثة في تفسير السلوك الإنساني وجوانبه المتعددة، ليس هذا فحسب؛ بل والدعوة لأهمية إحلال تلك الاختبارات الحديثة محل الاختبارات التقليدية العربية والأنجلو أمريكية المُعربة والعتيقة التي لم تعد محتوياتها تلاحق التطورات السريعة في المتغيرات المعرفية والتعددية الثقافية والصراعات الحضارية.

- **إجراءات البحث:**

- **المشاركون Participants:**

قام الباحث باختيار عدد (3) محافظات هي: "القليوبية، الدقهلية، المنيا"، لتمثل قطاعات: القاهرة الكبرى، والوجه البحري، والوجه القبلي، وبلغت عينة المشاركين (90) أخصائيًا نفسيًا من الذكور والإناث في المحافظات الثلاث، وتراوحت أعمارهم بين 25 إلى 41 عامًا بمتوسط 34.08 بانحراف معياري 5.03.

- **أداة البحث:**

– استبيان "دور الأخصائي النفسي المدرسي في العمل مع الموهوبين". (إعداد الباحث)

- **خطوات إعداد الاستبيان:**

– الاطلاع على الدراسات ذات الصلة ودليل عمل الأخصائي النفسي بالمدرسة.

- صياغة عبارات الاستبيان وفق أسئلة البحث، حيث يتضمن الاستبيان (3) محاور رئيسية، يتعلق المحور الأول برصد واقع استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمرحلتين الإعدادية والثانوية ضمن المهام التي يؤديها الأخصائي النفسي عند تعامله مع الطلاب الموهوبين، وقد وضع ميزان خماسي التقدير في هذا المحور حتى تكون هناك فرصة أمام المستجيب لانتقاء البديل القرب إلى الواقع تجنبًا لتزييف الاستجابات، أما المحور الثاني الخاص بمعوقات استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين والمحور الثالث الخاص بمقترحات المشاركين حول تفعيل استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الموهوبين فقد وضع ميزان ثلاثي التقدير، وذلك لكون المحور الثاني يحاول رصد الجانب السلبي في عدم الاستخدام الذي يعود في معظمه للاختبارات أو الجهات المعنية الرسمية، والمحور الثالث الذي يقدم فيه المشارك مقترحاته بشأن تفعيل استخدام الاختبارات في انتقاء الموهوبين بالمدارس، وبالتالي لا يجد الأخصائي النفسي حرجًا ذاتيًا إذا أشار لتلك المعوقات أو المقترحات.
- عرض المقياس على خبراء في التربية وعلم النفس لإبداء مقترحاتهم حول الاستبيان وعباراته.
- تعديل بعض عبارات الاستبيان وحذف بعضها غير المرتبطة بمحاور البحث في ضوء المقترحات.
- إعداد الاستبيان في صورته الأولية، ثم تطبيقه على عدد (30) مشاركًا من الأخصائيين النفسيين لحساب معاملاته العلمية.
- إعداد الاستبيان في صورته النهائية.

- **المعاملات العلمية للاستبيان:**

- <u>صدق الاستبيان:</u>

حُسب صدق الاستبيان بطريقة الصدق الظاهري؛ وذلك بهدف التأكد من وضوح المفردات وصياغتها وارتباطها بما وضعت من أجله، حيث عُرض الاستبيان على (7) من الخبراء في التربية وعلم النفس، وعلى ضوء مقترحاتهم عُدلت بعض عبارات الاستبيان. كما حُسب بطريقة صدق التمييز؛ وذلك من خلال حساب الفروق بين الربيع الأعلى والربيع الأدنى للاستجابات باستخدام اختبار Mann-Whitney، حيث بلغ متوسط الرتب للمجموعة المتضمنة بالربيع الأدنى (ن= 7) 4.00، وللمجموعة المتضمنة بالربيع الأعلى (ن= 8) 11.50، وبلغت قيمة Z = 3.29 بالنسبة للمحور الأول"واقع استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الموهوبين"، وبلغ متوسط الرتب للمجموعة المتضمنة بالربيع الأدنى (ن= 7) 4.00، وللمجموعة المتضمنة بالربيع الأعلى (ن= 7) 11.00، وبلغت قيمة Z = 3.14 بالنسبة للمحور الثاني "معوقات استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الموهوبين"، وبلغ متوسط الرتب للمجموعة المتضمنة بالربيع الأدنى (ن= 8) 4.50، وللمجموعة المتضمنة بالربيع الأعلى (ن= 8) 12.50، وبلغت قيمة Z = 3.39 بالنسبة للمحور الثالث "مقترحات تفعيل استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الموهوبين"، وهي قيم دالة عن مستوى 0.05 مما يشير لصدق الاستبيان.

- ثبات الاستبيان:

حُسب ثبات الاستبيان بطريقة الاتساق الداخلي للعبارات، وذلك بتطبيقه على عدد (30) من الأخصائيين النفسيين بالمدارس، وأسفرت المعالجة الإحصائية باستخدام معامل ارتباط الرتب لسبيرمان عن وجود ارتباطات دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 بين كل عبارة وبين المجموع الكلي لعبارات المحور الخاص بها، حيث تراوحت قيم معاملات الارتباط لعبارات المحور الأول "واقع استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الموهوبين" بين 0.380 و0.477، وتراوحت قيم معاملات الارتباط لعبارات المحور الثاني "معوقات استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الموهوبين" بين 0.388 و0.770، وتراوحت قيم معاملات الارتباط لعبارات المحور الثالث "مقترحات تفعيل استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الموهوبين" بين 0.369 و0.738، مما يشير إلى اتساق عبارات الاستبيان. كما حُسب باستخدام معامل ثبات ألفا كرونباك لكل محور، حيث بلغت قيمته للمحور الأول: 0.716 لعدد (13) متغيرًا، وللمحور الثاني: 0.839 لعدد (15) متغيرًا، وللمحور الثالث: 0.813 لعدد (15) متغيرًا، مما يشير لثبات الاستبيان.

- **زمن التطبيق الميداني:**

تم التطبيق الميداني خلال شهر نوفمبر من العام الدراسي 2008/ 2009م.

- **المعالجة الإحصائية:**

تم استخدام برنامج الحزمة الإحصائية المعروف بـ **SPSS:** لتحليل البيانات من خلال حساب معامل الارتباط والنسبة المئوية والوزن النسبي ومعامل ثبات ألفا كرونباك وقيم (Z) و(كا ٢) لدلالة الفروق، وذلك لمعالجة البيانات المستخرجة من استجابات المشاركين من الأخصائيين النفسيين بالمدارس عينة البحث.

- **نتائج البحث:**

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة التي انطلق منها والمتعلقة برصد واقع استخدام الاختبارات النفسية في البيئة العربية والإشكاليات المصاحبة لهذا الاستخدام، وما يمكن أن يقدمه البحث أو يطرحه حول تفعيل استخدام الأخصائيين النفسيين لتلك الاختبارات في الكشف عن الموهوبين وتتبعهم وتحديد تطور ونمو المواهب لدى الطلاب في المدرسة والمراحل التعليمية المختلفة، وفيما يلي عرض لما كشف عنه التحليل الإحصائي للبيانات المستخرجة من استجابات المشاركين على الاستبيان الخاص برصد واقع الاستخدام:

السؤال الأول: ما واقع استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمرحلتين الإعدادية والثانوية؟

إجابة هذا السؤال كشفت عنه نتائج البحث الحالي من خلال رصد الواقع الفعلي لاستخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الموهوبين وتنمية الموهبة في المدارس العادية في مصر، ويعكس الجدول التالي هذه النتائج:

جدول (1) التكرارات والنسب المئوية وقيم (كا^{2}) للفروق بين
استجابات المشاركين حول دور الأخصائي النفسي
في العمل مع الموهوبين بالمدرسة (ن = 90)

م	درجة تحقق العبارة في الواقع الفعلي بالمدرسة										قيم كا^{2}
	دائمًا		غالبًا		أحيانًا		نادرًا		أبدًا		
	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	ك	%	
1	17	18.9	18	20.0	32	35.6	18	20.0	5	5.6	*20.33
2	–	–	5	5.6	17	18.9	36	40.0	32	35.6	*27.07
3	19	21.1	29	32.2	18	20.0	15	16.7	9	10.0	*11.78
4	20	22.2	28	31.1	16	17.8	13	14.4	13	14.4	8.78
5	23	25.6	23	25.6	16	17.8	17	18.9	11	12.2	5.78
6	–	–	4	4.4	24	26.7	49	54.4	13	14.4	*50.53
7	28	31.1	26	28.9	11	12.2	17	18.9	8	8.9	*17.44
8	19	21.1	18	20.0	21	23.3	15	16.7	17	18.9	1.11
9	26	28.9	28	31.1	17	18.9	12	13.3	7	7.8	*17.89
10	6	6.7	15	16.7	33	36.7	22	24.4	14	15.6	*22.78
11	2	2.2	9	10.0	28	31.1	38	42.2	13	14.4	*47.89
12	14	15.6	19	21.1	19	21.1	21	32.3	17	18.9	1.56
13	3	3.3	21	23.3	25	27.8	26	28.9	15	16.7	*19.78

(*) دالة عند مستوى 0.05

من الجدول السابق يتضح وجود فروق دالة إحصائيًا بين الأخصائيين النفسيين الذين أشاروا إلى أنهم يؤدون بالفعل بعض مهام الخدمات النفسية للموهوبين بالمدارس وبين الذين أشاروا لعدم أدائهم لتلك المهام، فأشارت النتائج لوجود فروق دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 لصالح الذين يؤدون مهامًا تتعلق باستخدام الاختبارات في التعرف على الجوانب الوجدانية للطلاب الموهوبين، وتنظيم ندوات ولقاءات عن الموهبة ورعاية الموهوبين ودعوة المختصين لتقديم المعارف والمعلومات المتعلقة بها، وتصميم برامج وخطط تنموية مبنية على الدراسة العلمية لاحتياجاتهم، وتقديم الدعم النفسي لهم، ومساعدة الطالب الموهوب على التكيف مع البيئة المدرسية المحيطة، ومتابعة مستواهم في التحصيل الدراسي، حيث بلغت قيم كا^{2}: 22.78، 20.33، 19.78، 17.89، 17.44، 11.78 على الترتيب. كما وجدت فروق لصالح الذين لا يؤدون المهام المتعلقة باستخدام الاختبارات لقياس مهارات الطلاب الموهوبين في مجالات الموهبة، وفي قياس قدراتهم، وفي انتقائهم، حيث بلغت قيم كا^{2}: 50.53، 47.89، 27.07، وهي دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05.

بينما يتضح من الجدول عدم وجود فروق دالة بينهم في المهام المتعلقة بالحرص على رعاية الطلاب الموهوبين، والاهتمام بتنمية مهاراتهم للتكيف مع المواقف التعليمية، وتقديم النصيحة حول الالتحاق بتعليم معين

حسب قدراتهم، ثم معرفة أسماءهم من المعلمين لمقابلتهم ومعرفة مشكلاتهم، فالجميع يولي اهتمامًا متقاربًا بالجوانب الاجتماعية للطلاب الموهوبين. ولمعرفة المهام التي لاقت اهتمامًا أكثر من قبل الأخصائيين النفسيين، يعرض الجدول التالي للوزن النسبي لتلك المهام:

جدول (2) الوزن النسبي لعبارات الاستبيان وترتيبها وفق استجابات المشاركين حول دور الأخصائي النفسي في العمل مع الموهوبين بالمدرسة (ن = 90)

العبارة	الوزن النسبي	الترتيب
1- أنظم ندوات ولقاءات عن الموهبة ورعاية الموهوبين وأدعو إليها المختصين.	3.16	6
2- أستخدم الاختبارات والاستبيانات لانتقاء الطلاب الموهوبين.	1.94	13
3- أتابع مستوى التحصيل الدراسي للطلاب الموهوبين.	3.38	3
4- أحرص على رعاية الطلاب الموهوبين.	3.32	5
5- أهتم بتنمية مهارات الطلاب الموهوبين للتكيف مع المواقف التعليمية.	3.33	4
6- أستخدم الاختبارات لقياس مهارات الطلاب الموهوبين في مجالات الموهبة.	2.21	12
7- أساعد الطالب الموهوب على التكيف مع البيئة المدرسية المحيطة.	3.54	2
8- أقدم النصيحة للطلاب الموهوبين بالالتحاق بتعليم معين حسب قدراتهم.	3.08	7
9- أقوم بتقديم الدعم النفسي للطلاب الموهوبين والمتفوقين.	3.60	1
10- أستخدم الاختبارات في التعرف على الجوانب الوجدانية للطلاب الموهوبين.	2.74	9
11- أستخدم الاختبارات في قياس قدرات الطلاب الموهوبين.	2.43	11
12- أطلب من المعلمين أسماء الطلاب الموهوبين وأقابلهم لمعرفة مشكلاتهم.	2.91	8
13- أصمم برامج وخططًا تنموية بناءً على الدراسة العلمية للطلاب الموهوبين.	2.68	10

من الجدول السابق يتضح أن المهام التي ارتبطت بتقديم الدعم النفسي وخدمات الرعاية الاجتماعية للموهوبين قد تبوأت المراتب الأولى من أداء الأخصائيين النفسيين نحو الطلاب الموهوبين بالمدارس، فاحتلت مهام تقديم الدعم النفسي للطلاب الموهوبين المرتبة الأولى بوزن نسبي مقداره (3.60)، أما مهام مساعدة الطلاب الموهوبين على التكيف مع البيئة المدرسية فاحتلت المرتبة الثانية بوزن نسبي (3.54)، وفي المقابل؛ نجد أن المهام المتعلقة باستخدام الاختبارات قد حظيت باهتمام قليل من جانب الأخصائي النفسي وأدائه الفعلي لمهامه مع الطلاب الموهوبين في المدرسة، حيث أشارت النتائج إلى احتلال مهام استخدام الاختبارات في الكشف عن الموهبة وقياس المهارات والخصائص الوجدانية للطلاب الموهوبين ترتيبًا متأخرًا من أداء الأخصائي النفسي لمهام عمله مع الموهوبين، فتذيلت المهام (2) و(6) و(10) و(11): "أستخدم الاختبارات والاستبيانات لتحديد الطلاب الموهوبين" بوزن نسبي (1.94)، و"أستخدم الاختبارات لقياس مهارات الطلاب الموهوبين في مجالات الموهبة" بوزن نسبي (2.21)، و"أستخدم الاختبارات في قياس قدرات الطلاب الموهوبين" بوزن نسبي مقداره (2.43)، و"أستخدم الاختبارات في التعرف على الجوانب الوجدانية للطلاب الموهوبين" بوزن نسبي (2.74)، عبارات الاستبيان البالغ عددها (13) عبارة تبين مهام الأخصائي النفسي مع الموهوبين

بالمدرسة، حيث احتلت ترتيبًا متأخرًا (13) و(12) و(11)، (9) مما يعكس الواقع المتدني لاستخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين وتنمية مواهبهم بالمدرسة.

وتتفق هذه النتائج مع ما أشارت إليه نتائج دراسة مبروك 2003 من أن تطبيق المقاييس والاختبارات الخاصة بالموهوبين قد جاء في الترتيب الأخير بنسبة (15 %) بين المهام المتعلقة بوسائل اكتشاف الموهوبين في المدارس الإعدادية(سحر مبروك 2003: 317).

وبذلك يكون البحث قد أجاب عن السؤال الأول الخاص بواقع استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمرحلتين الإعدادية والثانوية.

وحقيقة القول؛ فإن هذا الواقع المتدني الخاص باستخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين وتنمية الموهبة بالمدارس في مصر والعالم العربي بشكل عام هو نتاج لإشكاليات عديدة ارتبطت بطرق ووسائل الكشف عن المواهب وآليات انتقاء الطلاب الموهوبين، فتشير مبروك 2003 إلى أن أكثر الوسائل استخدامًا في هذا الشأن هو تنظيم المسابقات العلمية والثقافية لاكتشاف الطلاب المتميزين وأصحاب القدرات الخاصة في بداية العام الدراسي، بالإضافة للملاحظة المباشرة التي تتم أثناء اليوم الدراسي خلال ممارسة الطلاب للأنشطة المختلفة(سحر مبروك 2003: 317)، وتلك الوسائل غير المقننة والتي قد تفتقد للموضوعية في بعض الأحيان ربما كان لها أثر في عدم الانتقاء الجيد للموهوبين، وفي هذا السياق يشير أبوحطب 1996 إلى أن عدم الاعتماد على وسائل علمية قد أدى لإدخال بعض الأفراد في فئة الموهوبين بينما هم ليسوا كذلك، وأخرج من الفئة آخرين موهوبين بالفعل(فؤاد أبوحطب 1996: 613).

السؤال الثاني: ما معوقات استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمرحلتين الإعدادية والثانوية؟

ظهرت إشكاليات عديدة صاحبت استخدام اختبارات الذكاء عند انتقاء الطلاب الموهوبين وقياس مواهبهم، تلك الإشكاليات يمكن تصنيف بعضها بأنها السبب الرئيسي وراء استخدام تلك الاختبارات وفق هذا المنحى، بيد أن هناك إشكاليات أخرى يمكن القول بأنها نتاج لهذا الاستخدام. وهذه الإشكاليات انعكست في استجابات المشاركين في البحث الحالي من الأخصائيين النفسيين حول معوقات استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمدارس المصرية، والجدول التالي يعرض ذلك:

جدول (3) التكرارات والنسب المئوية وقيم (كا ٢) حول معوقات استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمدرسة (ن = 90)

العبـارة	موافق		إلى حد ما		غير موافق		قيم كا ٢
	ك	%	ك	%	ك	%	
1- إحجام المختص عن تطبيق الاختبارات.	47	%52	37	%41	6	%7	*30.47
2- قلة الخبرة العلمية بكيفية تطبيق الاختبارات.	28	%31	38	%42	24	%27	3.47

3- التدريب غير الكافي على استخدام الاختبارات.	41	%46	31	%34	18	%20	*8.87
4- ندرة اختبارات الموهبة المتوفرة بالمدارس.	55	%61	28	%31	7	%8	*38.60
5- قلة اهتمام الإدارة المدرسية بالموهوبين.	46	%51	26	%29	18	%20	*13.87
6- الاهتمام بالتفوق الأكاديمي والرياضي فقط.	33	%37	44	%49	13	%14	*16.47
7- قلة الميزانية المخصصة للموهوبين.	51	%57	26	%29	13	%14	*24.87
8- قلة الدورات التدريبية المخصصة لاستخدام الاختبارات في اكتشاف ورعاية الموهوبين.	61	%68	23	%25	6	%7	*52.87
9- الاختبارات المتوفرة تقليدية ولا تصلح لانتقاء الطلاب الموهوبين.	58	%64	24	%27	8	%9	*43.47
10- الاختبارات المتوفرة لا تغطي معظم مجالات الموهبة.	38	%42	34	%38	18	%20	*7.47
11- الاختبارات المتوفرة ليس لها مفتاح تصحيح.	47	%52	26	%29	17	%19	*15.80
12- الاختبارات المتوفرة بدائية ولا ترتبط بالتكنولوجيا والمواهب المتصلة بها.	65	%72	18	%20	7	%8	*63.27
13- ضعف الثقة في قدرة الاختبارات على التنبؤ بالموهبة وتنميتها.	54	%60	25	%28	11	%12	*32.07
14- خجل الطلاب ورفض الخضوع للاختبارات.	27	%30	31	%34	32	%36	0.47
15- عدم استخدام الكمبيوتر في إدارة الاختبارات.	30	%33	43	%48	17	%19	*11.27

(*) دالة عند مستوى 0.05

من الجدول السابق يتضح وجود فروق في آراء الأخصائيين النفسيين حول معوقات استخدام الاختبارات النفسية في اكتشاف الموهبة وتنميتها في المدرسة لصالح الذين يرون وجود معوقات في هذا الشأن، فهذه المعوقات يرتبط بعضها بالاختبارات النفسية، ويرتبط البعض الآخر بالمجتمع المدرسي والبيئة المحيطة، ومنها ما يرتبط بالأخصائيين النفسيين، ومنها ما يعود للطلاب الموهوبين أنفسهم.

بالنسبة للمعوقات الخاصة بالاختبارات النفسية أشارت النتائج إلى وجود فروق دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 لصالح الذين أشاروا لوجود معوقات تتعلق بالاختبارات النفسية واستخداماتها بالمدرسة، فأكدوا على أن هناك ندرة في اختبارات الموهبة المتوفرة بالمدارس، وأن الاختبارات المتوفرة منها بدائية ولا ترتبط بالتكنولوجيا والمواهب المتصلة بها، كما أن هذه الاختبارات تقليدية ولا تصلح لانتقاء الطلاب الموهوبين، وأنها تفتقر إلى الثقة في نتائجها، ولا يتم استخدام الكمبيوتر في تنفيذ تلك الاختبارات، حيث بلغت قيم (كا^{2}): 38.60، 63.27، 43.47، 32.07، 11.27 ويؤكد ذلك ما أشار إليه مادوكس وجونسون 1998 من أن هناك مجموعة من الأسباب التي ترتبط بتشكك الناس في دقة وإحكام درجات الاختبار، ومن ثم مصداقيتها وموثوقية نتائجها(Maddux, & Johnson, 1998: 92):

- بعض الناس يخشون وليس لديهم أية أدلة أو براهين على أن السمات النفسية لها نفس خصائص الظواهر الطبيعية من حيث الضبط والدقة كما تنعكس في مقاييس الحرارة والوزن.

- الوسائط تعزز القيم غير الحقيقية وغير الواقعية لنتائج الاختبارات المعيارية، على سبيل المثال: تروج البرامج التليفزيونية والأفلام للعائد الإيجابي للاختبارات أكثر مما يحدث في الواقع.
- معظم الناس على حذر من التأكيد المطلق المتعلق بالدقة المتضمنة في المعيارية والإدارة والدرجات في الاختبارات الرسمية.
- القياس والتقدير المهني أحيانا يشجع القيم الناتجة من الاختبارات، حيث أن هناك قناعة بين بعض السيكولوجيين بأن درجات معامل الذكاء ونتائج الاختبارات مؤكدة النجاح ومعصومة من الخطأ.

وليست تلك الأسباب فحسب؛ بل إن البعض الآخر يعتقد أن الاختبارات النفسية تميل لأن تكون غير حقيقية إلى حد ما مع الأطفال في سن صغيرة، حيث يمكن أن تنخفض الدرجات التي يحصل عليها الطفل عند تطبيق مثل هذه الاختبارات عليه، وذلك بسبب الخجل الذي يتميز به سلوك الأطفال في هذه السن، أو بسبب تلك الخبرة السيئة التي قد يمر بها الطفل في اليوم الذي يؤدي فيه الاختبار، سواء تعلق الأمر بالاختبار في حد ذاته، أو حتى مجرد خوف الطفل من الشخص الفاحص، أو عدم القدرة على الاندماج معه، أو قد يكون الطفل محظوظًا في التخمينات التي يبديها على بعض بنود الاختبار، وقد ترتفع الدرجة التي يحصل عليها كثيرًا عن مستواه الحقيقي (سلفيا ريم 2003: 36). وقد يكون هذا التوجه أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت من الصعب استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الموهوبين في تلك السن.

وبالنسبة للمعوقات الخاصة بالمجتمع المدرسي والبيئة المحيطة أشارت النتائج إلى وجود فروق دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 لصالح الذين أشاروا لوجود معوقات من قبل القائمين على العملية التعليمية تحد من استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمرحلتين الإعدادية والثانوية، فأكد الأخصائيون النفسيون على أن الدورات التدريبية المخصصة لاستخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الموهوبين قليلة مقارنة بالدورات الأخرى الخاصة بكيفية الاكتشاف والرعاية، حيث بلغت قيمة كا' (52.87)، بالإضافة لضعف الميزانية المخصصة للموهوبين، والذي انعكس أثره السلبي بشكل واضح في ندرة الاختبارات الخاصة بالموهبة في المدارس، مع قلة الاهتمام بالموهوبين عمومًا، وإن كان هناك بعض الاهتمام فهو موجه نحو الموهبة الأكاديمية أو التفوق الرياضي فقط، حيث بلغت قيم كا': (24.87)، (38.60)، (13.87)، (16.47) على الترتيب. وتتفق تلك النتائج مع ما توصلت إليه دراسة مبروك 2003 من أن 96 % من المختصين بانتقاء ورعاية الموهوبين في المدارس أكدوا على قلة الموارد المالية المخصصة لهذا الغرض، بينما أشار 93 % منهم إلى ندرة الخطط والبرامج التي تساعد في انتقاء الموهوبين ورعايتهم، وعدم توافر الأدوات والاختبارات وندرة الدورات التدريبية وورش العمل المتعلقة بالموهبة، بالإضافة لعدم تعاون الجهات الإشرافية(سحر مبروك 2003: 321)، كما تتفق مع النتائج التي أشارت إليها دراسة نصر الدين وبولسنان 2008 من أن أهم الصعوبات التي تواجه الطفل الموهوب داخل المدرسة من وجهة نظر المعلمين تتعلق بالاهتمام بالتحصيل المدرسي دون الاهتمام بالجوانب الأخرى للتفوق، بالإضافة لقلة خبرة المعلم بأساليب الكشف عن الطفل الموهوب، ونقص الرعاية والتشجيع المدرسي له(جابر نصر الدين وفريدة بولسنان 2008: 375).

أما بالنسبة للمعوقات الخاصة بالأخصائيين النفسيين فقد أشارت النتائج إلى وجود فروق دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 لصالح الذين أشاروا لوجود معوقات من قبلهم شخصيًا، تلك المعوقات تجعلهم لا يقدمون على استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمرحلتين الإعدادية والثانوية، وتتمثل تلك المعوقات في الإحجام عن تطبيقها، حيث بلغت قيمة كا ٢(30.47)، كما أنهم لم يتلقوا التدريب الكافي على كيفية استخدام الاختبارات في انتقاء الطلاب الموهوبين، حيث بلغت قيمة كا ٢(8.87)، مما يشير لوجود معوقات تقلل من فرص الاستعانة بالاختبارات النفسية في عملية انتقاء الطلاب الموهوبين ومتابعة نمو مواهبهم. بينما أشارت النتائج لعدم وجود فروق دالة بين الأخصائيين النفسيين في أن قلة الخبرة العملية لم تكن تمثل إعاقة لهم في استخدام الاختبارات النفسية في عملية الانتقاء هذه.

ويتضح من الجدول السابق أيضًا أنه لا توجد فروق دالة إحصائيًا بين الأخصائيين النفسيين في كون خجل الطلاب يمثل عائقًا أمام استخدام الاختبارات في الكشف عن الموهبة.

ومما سبق يمكن القول بأن هذه المعوقات ظلت حجر عثرة أمام استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمدارس، بل إن بعض المدارس التي حاولت الارتقاء بطلابها وبلوغ الجودة من خلال استخدام تلك الاختبارات في الكشف عن المواهب لم يحالفها النجاح في معظم الأحيان، بسبب ندرة هذه الاختبارات، أو اقتصارها على نوع معين من الموهبة دون غيرها من المواهب، مثل الموهبة الأكاديمية أو القدرة العقلية العامة.

وبذلك يكون البحث قد أجاب عن السؤال الخاص بمعوقات استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمرحلتين الإعدادية والثانوية.

السؤال الثالث: ما التصور المقترح لتفعيل استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمرحلتين الإعدادية والثانوية؟

تعتبر عملية انتقاء وتشخيص الطلاب الموهوبين عملية معقدة تنطوي على مجموعة من الإجراءات التي تتطلب أكثر من أداة للقياس والتشخيص، ويعود السبب لتعقد عملية القياس هذه إلى تعدد مكونات الموهبة وتعدد أبعادها والتي تتضمن القدرات العقلية والإبداع والتحصيل والمهارات الخاصة والسمات الشخصية ولهذا كان الاهتمام بقياس تلك الأبعاد.

ويشير الأشول 2005 إلى أن الاتجاه الحديث في الكشف عن الطلاب الموهوبين وانتقائهم يقوم على جمع معلومات وبيانات من مصادر متعددة ومتنوعة عن الموهبة من خلال الاستعانة ببعض الأدوات كاختبارات الذكاء، ومقاييس التقدير السلوكية، واختبارات الابتكار والتي أظهرت نتائج البحوث أهميتها في الكشف عن الموهوبين(عادل الأشول 2005: 154). وفي هذا السياق؛ يرى بعض السيكولوجيين أن من الضروري أن نخضع الطالب الموهوب للاختبارات النفسية لأنها تسهم في تحديد جوانب القوة والضعف لديه في هذا الصدد، وبالشكل الذي يمكن أن يوجهنا إلى كيفية رعاية موهبته، ومساعدته على تحقيق قدر مناسب من

الصحة النفسية عن طريق فرض ضغوط عليه وتحريره منها، واختيار البرنامج المناسب الذي يمكن من خلاله تقديم العون والمساعدة المهنية لتنمية موهبته وقدراته المختلفة التي تميزه عن غيره(سلفيا ريم 2003: 37).

ويؤكد شونسي وفيكلنج Shaughnessy, & Fickling, 1993 على أنه ينبغي تعرض الطلاب في المراحل العمرية الصغيرة للاختبارات، خاصة في المواقف الفردية والشخصية، وذلك لانتقائهم منذ بدايات الموهبة، وتتبع نموها، فالموهوب الحقيقي هو الذي يستمر في تحقيق الإنجاز المرتفع حتى لو لم يتحقق له المشاركة في البرامج المعدة للموهوبين(Shaughnessy, & Fickling, 1993: 83) .

ولهذا فإن ريم 2003 قد ساقت مجموعة من الأسباب التي تستوجب تطبيق الاختبارات النفسية في اكتشاف ورعاية الموهوبين وتنمية الموهبة، منها(سلفيا ريم 2003: 36):

- أن الدرجات التي يحصل عليها الطلاب في هذه الاختبارات تعطي بيانات كمية تفيد ولي الأمر في المقارنة بين مستوى طفله وبين مستويات أقرانه ويمكن التنبؤ بموهبته.
- أن نتائج هذه الاختبارات تساعد في تحديد نقاط الضعف التي قد يخفيها معدل الذكاء المرتفع والكشف عن مناطق القوة.
- أن الاختبارات النفسية التي يتم إجراؤها من قبل الأخصائي النفسي لها من الأهمية في هذا الصدد؛ حيث أنها توفر قاعدة صحيحة للبيانات والمعلومات التي تتعلق بذكاء الطفل وموهبته.

ومع التقدم التكنولوجي الذي شهدته العقود الأخيرة زاد الاهتمام بالكشف عن المتفوقين والموهوبين وانتقائهم ورعايتهم، بعد أن أدركت كثير من الدول حاجتها إلى امتلاك العقول المبدعة والمخترعة في تطوير تكنولوجيتها وتحسين أساليب الحياة فيها، ودعت تلك الدول علماءها إلى ضرورة البحث عن هؤلاء الموهوبين واكتشافهم وتطوير الاختبارات والأدوات التي تيسر انتقاءهم، وحاولت تبني الأساليب التكنولوجية الحديثة والبرامج والمشروعات المتنوعة التي تنمي تلك المواهب وتطورها.

ولهذا سعت بعض الولايات الأمريكية لاستخدام اختبارات معيارية مطورة للكشف عن الطلاب الموهوبين والتعرف عليهم، وذلك من خلال قياس أنواع عديدة من القدرات والاستعدادات والقدرات الدراسية المرتبطة بالتحصيل الأكاديمي ومهارات التفكير المجرد والمهارات الأكاديمية والقدرات الفنية والتفكير الإبداعي والقدرة العقلية العامة والقيادة والدافعية والاستدلال اللفظي وغير اللفظي وقدرات حل المشكلات (The ERIC Clearinghouse 2008). وفي مصر؛ أنهى مؤتمر "التربية وآفاق جديدة في تعليم ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة" عام 2005 فعالياته بتوصيات تدعو لضرورة التوسع في الدراسات التي تهدف إلى تقنين أساليب وأدوات جيدة للكشف عن ذوي الاحتياجات من الموهوبين وذلك وفق النظريات الحديثة، وحث السلطات التعليمية على تطبيق الاختبارات كإجراء أساسي ضمن إجراءات القبول بالتعليم الإلزامي سعيًا للكشف المبكر عن الحالات المتمايزة(عبد المطلب القريطي 2005: 209).

وقد جاءت توصيات البحث الحالي لتعكس أهمية دعم استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين وتنمية الموهبة، ويعرض الجدول التالي لمقترحات الأخصائيين النفسيين عينة البحث بشأن تفعيل استخدام الاختبارات النفسية في الكشف عن الموهبة ورعايتها:

جدول (4) التكرارات والنسب المئوية وقيم (كا ٢) والوزن النسبي لمقترحات المشاركين لتفعيل استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمدرسة (ن = 90)

العبارات	موافق		إلى حد ما		غير موافق		قيم كا ٢	الوزن النسبي
	ك	%	ك	%	ك	%		
1- رصد ميزانية في المدارس تخصص لشراء الاختبارات المرتبطة بالموهوبين.	60	%67	20	%22	10	%11	*46.67	2.56
2- تقديم دورات تدريبية متخصصة في الاختبارات للمشتغلين بالمدارس مع الموهوبين.	36	%40	44	%49	10	%11	*21.07	2.29
3- المتابعة المستمرة لنمو الموهبة باستخدام الاختبارات.	44	%49	27	%30	19	%21	*10.87	2.28
4- إنشاء إدارة مختصة بكل مديرية تتولى إمداد المدارس بأحدث الاختبارات.	59	%65	24	%27	7	%8	*46.87	2.58
5- تقديم حافز للأخصائيين المستخدمين للاختبارات مع الموهوبين بالمدارس.	39	%43	40	%45	11	%12	*18.07	2.31
6- تعيين اختصاصين في تطبيق الاختبارات بالمدارس.	57	%63	24	%27	9	%10	*40.20	2.53
7- تقديم دورات تدريبية للإدارة المدرسية للتوعية بأهمية تطبيق الاختبارات مع الموهوبين.	34	%38	38	%42	18	%20	*7.47	2.18
8- توفير اختبارات متنوعة بالمدارس تشمل جميع المواهب.	56	%62	27	%30	7	%8	*40.47	2.54
9- الاستعانة بالاختبارات الكمبيوترية لسهولة التعامل مع نتائجها.	63	%70	24	%27	3	%3	*61.80	2.67
10- التخلي عن الاختبارات التقليدية التي لا يتفق محتواها مع التقدم المعرفي والتكنولوجي.	61	%68	22	%24	7	%8	*51.80	2.60

تابع: جدول (4) التكرارات والنسب المئوية وقيم (كا ٢) والوزن النسبي لمقترحات المشاركين لتفعيل استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمدرسة (ن = 90)

العبارات	موافق		إلى حد ما		غير موافق		قيم كا ٢	الوزن النسبي
	ك	%	ك	%	ك	%		
11- إدخال التفوق في مجالات الموهبة ضمن	45	%50	34	%38	11	%12	*20.07	2.38

درجات تقييم الطلاب بالمدارس.								
12- تقديم دورات تدريبية لأولياء الأمور حول أهمية المواهب وتنميتها.	50	%56	30	%33	10	%11	*26.67	2.44
13- بناء اختبارات جديدة تناسب المواهب المختلفة.	61	%68	19	%21	10	%11	*49.40	2.57
14- متابعة الموهوبين في المراحل التعليمية التالية لمرحلة انتقائهم.	55	%61	28	%31	7	%8	*38.60	2.53
15- نشر ثقافة الاختبارات في المرحلة الابتدائية لتصبح مقبولة من الطلاب في المراحل التالية.	49	%54	33	%37	8	%9	*28.47	2.46

(*) دالة عند مستوى 0.05

من الجدول السابق يتضح وجود فروق في آراء الأخصائيين النفسيين حول مقترحاتهم بشأن استخدام الاختبارات النفسية في اكتشاف الموهبة وتنميتها في المدرسة لصالح الذين أكدوا على هذه المقترحات. ويمكن تناول تلك المقترحات في ضوء ما اقترح بشأنها:

بالنسبة للمقترحات الخاصة بالاختبارات النفسية: أشارت النتائج إلى وجود فروق دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 لصالح الذين أشاروا لوجود مقترحات بشأن تفعيل استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين، فأكدوا على ضرورة الاستعانة بالاختبارات الكمبيوترية لسهولة التعامل مع نتائجها، والتخلي عن الاختبارات التقليدية التي لا يتفق محتواها مع التقدم المعرفي والتكنولوجي، وبناء اختبارات جديدة تناسب المواهب المختلفة، حيث بلغت قيم كا ٢: 2.67، 2.60، 2.57، مما يعكس رغبة الأخصائيين النفسيين في تطوير تلك الاختبارات واستحداث اختبارات جديدة قائمة على الكمبيوتر.

أما بالنسبة للمقترحات التي وجهها الأخصائيون النفسيون للقائمين على العملية التعليمية بالمدارس والمهتمين بالموهوبين؛ فقد أشارت النتائج إلى وجود فروق دالة إحصائيًا عند مستوى 0.05 لصالح الذين أشاروا لوجود مقترحات بشأن تفعيل استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين، فأكدوا على ضرورة الآتي:

1. إنشاء إدارة مختصة بكل مديرية تتولى إمداد المدارس بأحدث الاختبارات.
2. رصد ميزانية في المدارس تخصص لشراء الاختبارات المرتبطة بالموهوبين.
3. توفير اختبارات متنوعة بالمدارس تشمل جميع المواهب.
4. تعيين اختصاصين في تطبيق الاختبارات بالمدارس.
5. متابعة الموهوبين في المراحل التعليمية التالية لمرحلة انتقائهم.
6. نشر ثقافة الاختبارات في المرحلة الابتدائية لتصبح مقبولة من الطلاب في المراحل التالية.
7. تقديم دورات تدريبية لأولياء الأمور حول أهمية المواهب وتنميتها.
8. تقديم دورات تدريبية متخصصة في الاختبارات للمشتغلين بالمدارس مع الموهوبين.
9. إدخال التفوق في مجالات الموهبة ضمن درجات تقييم الطلاب بالمدارس.

10.تقديم حافز للأخصائيين المستخدمين للاختبارات مع الموهوبين بالمدارس.

11.المتابعة المستمرة لنمو الموهبة باستخدام الاختبارات.

12.تقديم دورات تدريبية للإدارة المدرسية للتوعية بأهمية تطبيق الاختبارات مع الموهوبين.

حيث بلغت قيم كا ا: 46.87، 46.67، 40.47، 40.20، 38.60، 28.47، 26.67، 21.07، 20.07، 18.07، 10.87، 7.47 على الترتيب. مما يشير لحرص الأخصائيين النفسيين على ضرورة مشاركة المعنيين وأولياء الأمور لهم في مسئولية النهوض بالموهبة وانتقاء الطلاب الموهوبين ووعيهم بضرورة تطوير الاختبارات والأدوات المستخدمة في انتقاء الموهوبين. وقد أكدت تلك النتائج ما تضمنته خطة ولاية فرجينيا الأمريكية 1997 حين أشارت إلى ضرورة تقديم برامج تدريبية متخصصة لإعداد الأخصائيين النفسيين لاكتشاف الطلاب الموهوبين ومقابلة احتياجاتهم التوجيهية والإرشادية مع التركيز الخاص في التدريب على أساليب الانتقاء وفهم الاحتياجات النفسية والاجتماعية للطلاب ذوي المواهب العالية، بالإضافة لاستخدام محكات متعددة للحكم على الطلاب الموهوبين، خاصة في مرحلة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية، ومتابعتهم فيما بعد(The Virginia Plan for The Gifted 1997: 4-10).

ولذلك فقد بات ضروريًا أن يتجه القائمون على انتقاء الموهوبين ورعاية الموهبة إلى تبني تلك التوجهات الحديثة في التعامل مع الطلاب الموهوبين وتطوير آليات انتقائهم، فالمستقرئ لنتائج الجدول السابق يتضح له أن هناك مقترحات للأخصائيين النفسيين المشاركين في عينة البحث كانت على درجة كبيرة من الأهمية حول المهام التي يجب على المعنيين بالاختبارات النفسية مراعاتها لتطوير استخدام تلك الاختبارات عند انتقاء الطلاب الموهوبين ورعايتهم، وأهم هذه المقترحات التي احتلت المراتب الأولى ما يلي:

1. الاستعانة بالاختبارات الكمبيوترية لسهولة التعامل مع نتائجها.
2. التخلي عن الاختبارات التقليدية التي لا يتفق محتواها مع التقدم المعرفي والتكنولوجي.
3. إنشاء إدارة مختصة بكل مديرية تتولى إمداد المدارس بأحدث الاختبارات.
4. بناء اختبارات جديدة تناسب المواهب المختلفة.
5. رصد ميزانية في المدارس تخصص لشراء الاختبارات المرتبطة بالموهوبين.

حيث بلغت أوزانها النسبية: 2.67، 2.60، 2.58، 2.57، 2.56 على الترتيب، مما يعكس رؤيتهم الواقعية للمتطلبات الضرورية التي ينبغي مراعاتها من أجل استخدام الاختبارات الاستخدام الأمثل في عملية انتقاء الطلاب الموهوبين، فالاستعانة بالاختبارات الكمبيوترية والتخلي عن الاختبارات التقليدية وبناء اختبارات جديدة تناسب المواهب المختلفة هي من المقترحات التي دعا إليها الباحثون والقائمون على تصميم الاختبارات، فأشار Maddux, & Johnson, 1998 إلى أن هناك من الأسباب ما يجعلنا نرغب في إحداث التكامل بين الكمبيوتر والقياس، فالاختبارات المعيارية المتوفرة حاليًا غير مفهومة بشكل كبير لدى العامة وبعض التربويين والآباء، وكذلك النتائج المترتبة على استخدام بعض الاختبارات وأدوات القياس الأخرى من الصعب التعامل معها، كما أن بعض الناس يرون أن درجات الاختبارات ترتبط إلى حد كبير بالعالم الفيزيائي الطبيعي، أو بقياس المهن ذات الطابع العملي الملموس(Maddux, & Johnson, 1998: 91).

وتأكيدًا لما أشار إليه الأخصائيون النفسيون من ضرورة التخلي عن الاختبارات التقليدية التي لا يناسب محتواها التقدم التكنولوجي، فقد أشار الروسان 2006 إلى أنه مع بداية توجيه انتقادات للمفاهيم السيكومترية في الموهبة خلال فترة السبعينات من القرن الماضي ظهرت التوجهات الحديثة التي تنادي بضرورة التخلي عن مقاييس الذكاء لاسيما مقياس ستانفورد بينيه ومقياس وكسلر والتي تقيس القدرة العامة ولا تقيس القدرات الأخرى كالقدرات الإبداعية أو المواهب الخاصة والسمات الشخصية والعقلية، هذا بالإضافة للعديد من الانتقادات التي وجهت لاختبارات الذكاء بسبب تحيزها الثقافي والعرقي وضعف ثباتها وصدقها(فاروق الروسان 2006: 59).

ليس هذا فحسب؛ بل إن أحد الأسباب التي دعت لضرورة التخلي عن استخدام اختبارات الذكاء عند قياس الموهبة هو عدم قياسها لقدرات التفكير الابتكاري التي تعد إحدى القدرات وثيقة الصلة بالموهبة، وقد أكد تلك النظرة جيلفورد 1975 حين أشار إلى أن اختبارات الذكاء تقيس التفكير التقاربي ولا تقيس التفكير التباعدي، ولهذا غدت النظرة الحديثة مختلفة لأداء الطالب الموهوب، إذ صار ينظر إلى أشكال أخرى من الأداء غير التحصيل الأكاديمي كالتفكير الإبداعي والمواهب الخاصة والسمات الشخصية باعتبارها معايير رئيسية في تعريف الطفل الموهوب، وقد ظهر هذا الاتجاه في مفاهيم: مارلاند Marland 1972، وتورانس 1975، ونيولاند Newland 1976، ورينزولي Renzulli 1977، وكوفمان Kauffman 1981.

كما أن الإشارة إلى ضرورة توفير إدارة مختصة بكل مديرية من المديريات التعليمية إنما يعكس أهمية تضافر الجهود بين المعنيين حتى لا تبدد الجهود المبذولة، وتدعم تلك النتيجة ما أشارت إليه نتائج دراسة مبروك 2003 حيث أشار 60 % من المشاركين في دراستها إلى أهمية التعاون بين التوجيه والإدارة المدرسية، كما أشار 90 % منهم إلى عزوف الجهات الإشرافية العليا عن التعاون مع المختصين في المدارس بانتقاء الموهوبين ورعايتهم(سحر مبروك 2003: 321- 326). بالإضافة إلى أن مقترحهم بشأن رصد ميزانية في المدارس تخصص لشراء الاختبارات الخاصة بالموهوبين يعكس تدني الموارد المالية المخصصة للموهوبين، وتتفق هذه النتيجة أيضًا مع دراسة مبروك 2003 التي أشارت إلى أن 86 % من العينة أكدوا أن قلة الموارد المخصصة للموهوبين وقفت عائقًا للنهوض بالموهبة(سحر مبروك 2003: 323).

وفي المقابل؛ نجد أن هناك بعض المقترحات التي حظيت باهتمام أقل من جانب الأخصائيين النفسيين بشأن تفعيل استخدام الاختبارات في انتقاء الطلاب الموهوبين بالمدرسة، منها: تعيين اختصاصيين في تطبيق الاختبارات بالمدارس، ومتابعة الموهوبين في المراحل التعليمية التالية لمرحلة انتقائهم، ونشر ثقافة الاختبارات في المرحلة الابتدائية لتصبح مقبولة من الطلاب في المراحل التالية، وتقديم دورات تدريبية لأولياء الأمور حول أهمية المواهب وتنميتها، وتقديم دورات تدريبية متخصصة في الاختبارات للمشتغلين بالمدارس مع الموهوبين، وإدخال التفوق في مجالات الموهبة ضمن درجات تقييم الطلاب بالمدارس، وتقديم حافز للأخصائيين المستخدمين للاختبارات مع الموهوبين بالمدارس، والمتابعة المستمرة لنمو الموهبة باستخدام الاختبارات، وتقديم دورات تدريبية للإدارة المدرسية للتوعية بأهمية تطبيق الاختبارات مع الموهوبين.

وتلك المقترحات وإن احتلت مراتب أقل من ضرورة بناء اختبارات جديدة والاستعانة بالاختبارات المُحوسبة والتخلي عن الاختبارات التقليدية القديمة، إلا أنها تحظى بنفس الدرجة من الأهمية، فقد انحسرت أوزانها النسبية بين 2.18– 2.54، وتلك القيم تعكس درجة أهمية مرتفعة لتلك المقترحات.

ومما سبق يمكن تقديم هذا التصور بشأن تفعيل استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين ودعم استمرارية الموهبة:

أولاً بالنسبة للقائمين على تصميم الاختبارات النفسية:

- ضرورة تصميم اختبارات كمبيوترية يسهل تعامل الطلاب معها ذاتيًا، كما يمكن للأخصائيين معرفة نتائجها والاحتفاظ بها واستدعاؤها وقت الحاجة إليها لمتابعة نمو وتطور الموهبة لدى الطالب فيما بعد سواء في المرحلة الإعدادية أو عند انتقاله للمرحلة الثانوية أو الجامعية.
- تطوير الاختبارات التقليدية بما يتفق والثقافة العربية والتقدم المعرفي والتكنولوجي واستبعاد غير المناسب والذي لا يمكن تحديثه.
- تصميم اختبارات تشمل مواهب الطلاب المتعددة بالإضافة للموهبة العامة والموهبة الأكاديمية، مثل الاختبارات الخاصة بالتفكير الابتكاري والموهبة القيادية والمواهب المتعلقة بالأداء الفني والبصري والحس حركي.. إلخ.

ثانيًا بالنسبة للقيادات التعليمية ومسئولي التربية والتعليم:

- ضرورة إنشاء إدارة مختصة في كل مديرية للتربية والتعليم تكون مهمتها:
  1. إمداد المدارس بأحدث الاختبارات النفسية وأدوات الكشف عن المواهب.
  2. إعداد الدورات التدريبية الخاصة بكيفية تطبيق الاختبارات للمعنيين بالموهوبين.
  3. تقديم الدعم الفني للمعنيين برعاية الموهوبين وانتقائهم.
  4. متابعة الطلاب الموهوبين وقياس تقدم مواهبهم ونموها خلال سنوات الدراسة.
  5. دعوة المتخصصين في تصميم الاختبارات والمهتمين بالموهبة ومناقشتهم في حالات الطلاب الموهوبين.
  6. التنسيق بين إدارة الموهوبين في الوزارة والمديريات بشأن الطلاب الموهوبين.
  7. متابعة الطلاب الموهوبين بعد الالتحاق بالتعليم العالي والتنسيق مع الجامعات لضمان استمرارية الموهبة وحتى بعد التخرج.
  8. تقديم دورات إرشادية لأولياء أمور الطلاب الموهوبين لاكتشاف مواهب أبنائهم ورعايتها.
- ضرورة إصدار قرار وزاري يقضي بتخصيص ميزانية سنوية ترصد لشراء الاختبارات والمقاييس النفسية والأدوات الأخرى التي تستخدم في الكشف عن المواهب وتنمية الموهبة.
- ضرورة إصدار قرار وزاري يقضي بإدخال التفوق في مجالات الموهبة ضمن درجات تقييم الطلاب خلال سنوات الدراسة، وذلك لضمان حرص الطلاب على اكتشاف مواهبهم ومساعدتهم للأخصائيين.

- ضرورة تعيين اختصاصيين في تطبيق الاختبارات واكتشاف الموهوبين ورعايتهم بالمدارس.
- ضرورة استثمار مرحلتي رياض الأطفال والابتدائية في نشر ثقافة الاختبارات بين التلاميذ لتصبح مقبولة ومألوفة لديهم في مراحل التعليم التالية.

وخلاصة القول؛ فإن هناك توجهًا عامًا لدى الأخصائيين النفسيين والمعنيين بانتقاء ورعاية الطلاب الموهوبين بمدارس المرحلتين الإعدادية والثانوية بضرورة الاستعانة بالاختبارات النفسية الكمبيوترية والحديثة والمتنوعة التي تتناول جميع المواهب المختلفة لدى الطلاب، مع التأكيد على مسئولية جميع العاملين في حقل التعليم عن الطالب الموهوب.

وبذلك يكون البحث قد أجاب عن السؤال الخاص بتقديم تصور حول تفعيل استخدام الاختبارات النفسية في انتقاء الطلاب الموهوبين واستمرارية الموهبة.

- **خاتمة..**

الاهتمام بتنمية الموارد البشرية أصبح ضرورة حتمية يفرضها التحدي العلمي والتكنولوجي، بل إن التنمية في المجتمع تبدأ من الفرد وتنتهي بنتائجها لخدمته. ومن هنا؛ فإن المعيار الجوهري في تقييم الجهود الإنمائية واطراد وتائرها في أي مجتمع من المجتمعات هو التنمية البشرية؛ وذلك من خلال ما تحتويه مضامينها وعملياتها من مفاهيم ترتبط بتكوين رأس المال البشري والتنمية التعليمية والعلمية والصحية والتكنولوجية والسياسية والثقافية.

ولذا فإن المجتمعات المتقدمة بل والنامية قد أخذت على عاتقها الاهتمام بتنمية الفرد في كافة النواحي بوسائلها المتنوعة ومؤسساتها المختلفة، كما تسعى لانتقاء أفضل العناصر البشرية لقيادة مؤسساتها من خلال حُسن اختيار الأفراد لشغل الوظائف بما يسهم في نجاح عمليات التنمية ومساعيها.

ومن هنا؛ فإن الاهتمام باكتشاف الطلاب الموهوبين بالمدارس وانتقائهم وتربيتهم بات ضرورة ملحة ومسئولية مشتركة بين المعلمين والأخصائيين النفسيين وأولياء الأمور –على اعتبار أن المدرسة هي المؤسسة النظامية المنوط بها بناء شخصية الأفراد وتنمية مدركاتهم وقدراتهم وإعدادهم ليصبحوا مواطنين صالحين في المجتمع– في ظل تنامي التكنولوجيا والمعرفة البشرية.

وفي هذا السياق تشير كوثر كوجك 2005 إلى تنوع طرق اكتشاف الطفل الموهوب بالمدرسة، وأن على المعلم الدور الرئيسي في هذا الشأن، فتشير إلى أن عليه اتباع أسلوب علمي ومنطقي في اكتشاف المواهب من بين أطفال الفصل، وذلك من خلال(كوجك 2005: 54):

- الملاحظة: فاكتشاف الموهبة يتطلب ملاحظة لمدة طويلة، ومتكررة لأنماط السلوك المختلفة والمتنوعة، وعلى المعلم أن يتعاون مع باقي المعلمين والأخصائيين وأولياء الأمور للتأكد من صحة ما لاحظه، ومن المهم أن يشعر الطفل بموهبته ويستطيع أن يحددها، كما يشيد زملاؤه بهذا التميز.
- الأنشطة التعليمية: والتي تتطلب مستويات عليا من التفكير والقدرات في مجال معين.

- الأدوات والاختبارات: يطبق المعلم مجموعة من الاختبارات الخاصة، واستخدام الأدوات البحثية المصممة لاكتشاف المواهب في المجالات المتنوعة للتأكد من وجود موهبة أصيلة وصادقة، ومن خلالها يمكن تحديد درجة ومستوى الموهبة.

وبالرغم من تنوع أدوات ووسائل جمع البيانات؛ إلا أن الاختبارات تبقى الوسيلة الأساسية التي يمكن الوثوق بنتائجها، حيث إن كل المشاركين يمكنهم الاستجابة لنفس الأسئلة أو الإنجاز على نفس المهام تحت شروط مماثلة، ولذلك فإن استجاباتهم يمكن تحليلها باستخدام إجراءات معيارية تقديرية خاصة، ويكون من السهل عمل مقارنة بين الحالات بموضوعية(Friedenberg, L., 1995: 7) .

وتلعب الاختبارات النفسية دورًا مهمًا في انتقاء هؤلاء الموهوبين، فهي تفيد في عمليات الإثراء والتسريع والتجميع لأنها تحدد قدرات الطالب وميوله واهتماماته، ويمكن من خلال نتائجها الوقوف على الحالة التي عليها الموهبة وبالتالي تحديد أوجه القوة وأوجه القصور لدى الطالب، وتحديد مصادر التعلم والإثراء المناسبة سواء كانت بصرية أو سمعية أو مهارية، ومن ثم تحديد أساليب التدخل المهني ونوعية المعينات التعليمية ومسارات الدراسة واستراتيجيات التنمية المناسبة لقدراته.

ومع التقدم التكنولوجي في شتى مناحي الحياة، فإن الدعوة إلى توظيف المستحدثات التكنولوجية والمعلوماتية في مجال بناء الاختبارات وانتقاء هذه الفئة من الطلاب باتت ضرورة، لما تتمتع به هذه المستحدثات من خصائص تقنية عالية الجودة تمكن القائمين على اكتشاف ورعاية الموهوبين من مقابلة حاجات الموهوبين المتغيرة والمتنوعة. فمشكلة الموهوبين ليست مشكلة رعاية واهتمام بقدر ما هي مشكلة تشخيص واكتشاف وانتقاء، لأن الوسائل والأدوات المستخدمة إلى الآن في عمليات الاكتشاف والتشخيص والمحكات الموضوعة لا تزال قاصرة على التحصيل الأكاديمي المرتفع أو الأداء المتميز بعض الشيء دون النظر لاستمرارية التفوق والأداء المتميز. وفي هذا الإطار يشير الأشول 2005 إلى أن عملية الكشف عن الطلاب الموهوبين ورعايتهم في الدول العربية مازالت تواجه العديد من الصعوبات من أهمها عدم توافر الأدوات القياسية المقننة على البلدان العربية لقياس الذكاء والقدرات الخاصة وسمات الشخصية والظروف الاجتماعية وتقديرات المدرسين والأخصائيين النفسيين والتربويين(الأشول 2005: 153).

وبالرغم من هذا الطيف الواسع Vast spectrum من الاختبارات النفسية المتضمنة بالتراث السيكولوجي، إلا أن الاستخدام الفعال لتلك الاختبارات يعتمد بشكل واقعي على الغرض من هذا الاستخدام (Kaufman, AL., 2000: 470).

وبالرغم من كثرة المشكلات والصعوبات التي تكتنف وتواجه استخدام الاختبارات النفسية، والنقد الموجه إليها من قبل أصحاب النظريات التي تؤمن بتفرد الإنسان وذاتيته، أو علم نفس الذاتية Idiographic

Psychology [*]، فإننا لا نستطيع عمل تصنيفات أو اتخاذ قرارات إلا بناءً على نتائجها، فواقع الأمر أن استخدام الاختبارات يعد طريقة موضوعية إلى حد كبير للحكم على إحدى خصائص الأشخاص، وهذا يعتبر وقاية من الأحكام الذاتية التي يقوم بها المعلمون أو الأخصائيون النفسيون في المدارس لانتقاء الطلاب الموهوبين بناءً على انطباعاتهم الذاتية وآرائهم الشخصية(غازي 2008: 125).

وهذه القيمة العلمية التي ترتبط باستخدام الاختبارات النفسية في الحياة العملية بشكل عام، وكفاءتها في التنبؤ بقدرات الطلاب الموهوبين بشكل خاص، جعلت من تطويرها واستحداث الجديد منها مطلبًا أساسيًا لمقابلة التغيرات المستمرة في الظواهر النفسية والعقلية والظروف البيئية المحيطة.

ولهذا فإن على مصممي ومعدي اختبارات وأدوات انتقاء الموهوبين وقياس الموهبة أن يحسنوا من آليات تعاملهم مع محتواها وبنودها، وذلك من خلال:

- تبني التوجهات التي تنادي بضرورة النظرة التكاملية في القياسات النفسية والتربوية باستخدام أكثر من وسيلة أو أداة لقياس نفس السمة أو الظاهرة موضع القياس، والانتفاع بالتصميمات الحديثة التي توصلت إليها أساليب البحث في علم النفس، ومنها التصميم المتعدد السمة–المتعدد الأسلوب، والذي أوضح العديد من باحثي علم النفس أن استخدام أكثر من طريقة في قياس نفس السمة يعطي ثقة أكبر في النتائج، ويؤكد ذلك ما أشار إليه أبوحطب 1996 من أن الاعتماد على طريقة واحدة فقط لا يعد كافيًا في قياس السمة موضع القياس، فكل طريقة تتأثر بعوامل مختلفة(غازي 2008: 130).
- البعد عن استخدام الاختبارات التقليدية العتيقة في قياس الموهبة أو انتقاء الموهوبين والتي تعاني الضعف في محتواها وبنيتها وتفتقر إلى البنود والعبارات وثيقة الصلة بالمشكلات التي تستثير قدرات الطلاب، ولا تواكب الاتجاهات الحديثة في قياس الموهبة.
- اشتقاق محتوى الاختبارات من واقع المشكلات والظواهر التي تتحدى قدرات الطالب، والتي تستثير فضوله لمعرفة حلها، وبالتالي تنمو قدراته معها، وذلك بما يتفق مع البناء الثقافي والقيمي بالمجتمع العربي، أو الخصوصية الثقافية التي يتميز بها هؤلاء الطلاب، وإن كان لابد من الاستعانة بالاختبارات وأدوات القياس غير العربية، أو المُعدة في ثقافة مغايرة، فإنه يجب الحيطة من محتواها والخلفية الثقافية التي تكمن خلفها، ولهذا يجب تعديل بنودها وفقراتها بما يتفق وثقافة المجتمع.
- الاستعانة بتقنيات القياس الحديثة التي صاحبت الاكتشافات التكنولوجية في تصميم الاختبارات النفسية، خاصة تلك الاكتشافات الخاصة بملاحظة عمل المخ ووصف طبيعة العمليات الدماغية وتحليل وظائف القشرة الدماغية والخلايا العصبية، بما يسهم في رصد الموهبة والتفسير الموضوعي للسلوك.

المراجـع

[*] وهو اتجاه في علم النفس يركز على دراسة الفرد على أساس أنه نسق من التفرد الخاص، ويعارضه اتجاه آخر هو الاتجاه العام أو النوموثيتي Nomothetic والذي يبحث عن القوانين العامة التي تسهم في حدوث العمليات النفسية(في: جيمس ديز 1995: أزمة علم النفس المعاصر، ترجمة : سيد عثمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص : 197).

1- جابر نصر الدين وفريدة بولسنان 2008: التصورات الاجتماعية لمعلمي المدرسة الابتدائية للصعوبات التي تواجه الطفل الموهوب داخل المدرسة، ***مجلة تنمية الموارد البشرية***، العدد السادس 2008، مخبر تنمية الموارد البشرية، جامعة فرحات عباس سطيف، الجزائر، ص ص 356- 389.

2- جيمس ديز 1995: ***أزمة علم النفس المعاصر***، ترجمة : سيد عثمان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

3- جيمس تريفل 2006: هل نحن بلا نظير، عالم يكتشف الذكاء الفريد للعقل البشري، "ترجمة: ليلى الموسوي، ***سلسلة عالم المعرفة***، العدد (323)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

4- دانييل كيفلس وليروي هود 1997: الشفرة الوراثية للإنسان، القضايا العلمية والاجتماعية لمشروع الجينوم البشري، "ترجمة: أحمد مستجير"، ***سلسلة عالم المعرفة***، العدد (217)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

5- سحر فتحي مبروك 2003: المهارات المهنية للأخصائي الاجتماعي في اكتشاف ورعاية الموهوبين، ***المؤتمر العلمي السادس عشر: "عالمية الخدمة الاجتماعية وخصوصية الممارسة"***، 19- 20/3/ 2003، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ص ص 289- 352.

6- سلفيا ريم 2003: رعاية الموهوبين "إرشادات للآباء والمعلمين"، ترجمة: عادل عبد الله محمد، دار الرشاد، القاهرة.

7- عادل الأشول 2005: التربية الخاصة في الوطن العربي بين الواقع والمأمول، ***المؤتمر العلمي السنوي الثالث عشر: "التربية وآفاق جديدة في تعليم ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة(المعاقون والموهوبون) في الوطن العربي"***، كتاب الندوات، كلية التربية جامعة حلوان، 13- 14 مارس 2005، ص ص 152- 166.

8- عبد الله الجغيمان 2005: دور مؤسسة الملك عبد العزيز ورجاله لرعاية الموهوبين بالمملكة العربية السعودية، ***المؤتمر العلمي السنوي الثالث عشر: "التربية وآفاق جديدة في تعليم ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة(المعاقون والموهوبون) في الوطن العربي"***، كتاب الندوات، كلية التربية جامعة حلوان، 13- 14 مارس 2005، ص ص 131- 143.

9- عبد المطلب القريطي 2005: توصيات ***المؤتمر العلمي السنوي الثالث عشر: "التربية وآفاق جديدة في تعليم ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة(المعاقون والموهوبون) في الوطن العربي"***، كتاب الندوات، كلية التربية جامعة حلوان، 13- 14 مارس 2005، ص ص 207- 213.

10- عزيز حنا وأنور حسين ومصطفى كامل 1991: ***مناهج البحث في العلوم السلوكية***، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

11- فاروق الروسان 2006: سيكولوجية الأطفال غير العاديين، الطبعة السادسة، دار الفكر، عمان.

12- فؤاد أبوحطب 1996: ***القدرات العقلية***، ط 5، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

13- فؤاد أبوحطب وأمال صادق 1991: ***مناهج البحث وطرق التحليل الإحصائي في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية***، "ط1"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.

14- كوثر حسين كوجك 2005: تلبية احتياجات الموهوبين في الفصل الدراسي العام، ***المؤتمر العلمي السنوي الثالث عشر: "التربية وآفاق جديدة في تعليم ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة(المعاقون والموهوبون) في الوطن العربي"***، كتاب الندوات، كلية التربية، جامعة حلوان، 13- 14 مارس 2005، ص ص 51- 58.

15- محمد غازي 2008: ***الذكاء الاجتماعي لمشرفي الأنشطة التربوية- قدرة فارقة في النجاح المهني***، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

16- محمد غازي 2008: طيف الاختبارات النفسية وإشكاليات القياس في الوطن العربي، ***مجلة دراسات نفسية وتربوية***، العدد الأول ديسمبر 2008، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ص ص 80- 130.

17- محمود عطا مسيل 2004: تصور مقترح لرعاية الطلاب الموهوبين والمتفوقين في مصر في ضوء خبرة الولايات المتحدة الأمريكية، ***مجلة كلية التربية جامعة الزقازيق***، العدد 47، مايو 2004، مطبعة الجهاز المركزي للتعبئة العامة والإحصاء، القاهرة، ص ص : 318- 443.

18- ناهد أمين حلمي 2005: دور المعلم في اكتشاف ورعاية المواهب وتنميتها، ***المؤتمر العلمي السنوي الثالث عشر: "التربية وآفاق جديدة في تعليم ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة(المعاقون والموهوبون) في الوطن العربي"***، كتاب البحوث، كلية التربية جامعة حلوان، 13- 14 مارس 2005، ص ص 609- 628.

19- الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد 2008: دليل الاعتماد لمؤسسات التعليم قبل الجامعي، الجزء الأول، "إجراءات الاعتماد- التقييم الذاتي"، الإصدار الأول، غير منشور.

20- يسرية على محمود 1996: ***تعليم الطلاب الموهوبين في التعليم العام في جمهورية مصر العربية في ضوء الاتجاهات العالمية المعاصرة***، رسالة ماجستير "غير منشورة"، معهد الدراسات والبحوث التربوية، جامعة القاهرة.

21- Callahan, C. (2000): ***Intelligence and Giftedness***, in, Sternberg, R (Ed): handbook of intelligence, (pp: ***159*** – 175) Cambridge Univ. press, New York.

22- Fraenkel, J. & Wallen, N. 2003: ***How to Design and Evaluate Research in Education***, fifth edition, McGraw Hill, New York.

23- Friedenberg, L., (1995): ***Psychological Testing, "Design, Analysis, and Use,*** Allyn and Bacon, Boston.

24- Gittman, Elizabeth; Koster, John(1999): Analysis of Ability and Achievement Scores for Students ***Recommended*** by Classroom Teachers to a Gifted and Talented Program, paper presented at the Annual Meeting of the Northeastern Educational Research Association, Ellenville, NY. In: **www.eric.ed.gov**

25- Kaufman, AL., (2000): ***Testes of Intelligence***, in: ***Sternberg***, R (Ed): handbook of intelligence, Cambridge Univ. press, New York, (pp. 445 - 476).

26- Maddux, C. & Johnson, L. (1998): Computer-Assisted ***Assessment***, in: Vance, B.: Psychological Assessment of Children, 2nd, John Wiley & Sons, Inc. New York.

27- Moon, S. & Rosselli, H. (2000): ***Developing Gifted Programs***, in, Heller, K.(Ed): International ***Handbook*** of Giftedness and Talent – 2nd Edition, (pp. 499 - 515) Elsevier, Oxford, UK.

28- Ohio Department of Education(2000): Assessment Instruments for the Identification of Children ***Who*** Are Gifted, Department of Education, Div. of Special Education, Columbus. In: **www.eric.ed.gov**

29- Shaughnessy, Michael, & Fickling, Kris, (1993): Testing ***for*** Giftedness: The Pros., Cons., and Concerns, Gifted Education International, V. 9, N. 2, p82- 84.

30- Simonton, D. (2000): ***Genius and Giftedness: Same or Different?***, in, Heller, K.(Ed): International ***Handbook*** of Giftedness and Talent – 2nd Edition, (pp: 111 - 119), Elsevier, Oxford, UK.

31- The ERIC Clearinghouse on Disabilities and Gifted ***Education***, 2008, in: **http://www.Hoagiesgifted.org**

32- The Virginia ***Plan*** for The Gifted (1997): A Guide for The Development of Effective Program Services for Gifted Students, Virginia State Dept. of Education, Richmond, 34p. In: **www.eric.ed.gov**